الفصل الثاني

منهج الإسلام
في علاج البطالة

- موقف القرآن الكريم من البطالة.
- موقف الرسول ﷺ من البطالة.
- موقف الخلفاء من البطالة.
- موقف العلماء من البطالة.

المبحث الأول

موقف القرآن الكريم من البطالة

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: تقرير الحقائق: حيث أقر الإسلام مبدأين لهما أثر مبين كأساس لتصور الإسلام لهذه المشكلة هما:

المبدأ الأول: الاستخلاف البشري أساس العمران:

خلق الله تعالى آدم عليه السلام، وأهبطه إلى الأرض من أجل عبادة الله وعمارة الأرض؛ حيث كان أول بشر استُخْلِف في أرض الله، قال عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]. ثم تناسل آدم عليه السلام فكانت ذريته من بعده كذلك، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٣٩]. فكانت إرادة الله ومشيئته تعالى، العليا تتجه إلى أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، وكشف ما في الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات[1].

فينبغي للإنسان أن يوقن بأنه مستخلف في أرض الله – تعالى – اختبارًا له ليحسن العمل والسعي، فالله سبحانه يقول: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:١٤]. فاستخلاف الإنسان حافز قوى، ودافع لمن تعطل عن العمل لبذل مزيد من البحث عن العمل من أجل عمارة أرض الله تعالى، وإصلاحها يقول علامة الإسلام الإمام ابن خلدون: «إن أيدي الإنسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف»[2]، وتتضح علاقة الاستخلاف بعلاج البطالة فيما يلي:

---

(١) «في ظلال القرآن» سيد قطب ١/ ٥٦.

(٢) «المقدمة» ابن خلدون ص ٤٢١.

(أ) أسس الاستخلاف وأثرها في العلاج:

يقوم استخلاف الإنسان في أرض الله ﷻ على أسس تعينه على مواجهة البطالة، وهى كالتالي:

الأساس الأول: تكريم الله للإنسان.

الأساس الثاني: تسخير الله الكون للإنسان.

الأساس الثالث: أمر الله للإنسان بعمارة الأرض.

وهذه الأسس الإجمالية أفصل القول في بيان وجه إفادتها لمواجهة البطالة:

الأساس الأول: تكريم الله للإنسان:

إن تكريم الله ﷻ للإنسان له دخل كبير في علاج بطالة الفرد، ويتحقق الفرد من سيادته في هذا الكون لما يجد ذلك مسطورًا في كتاب الله، إذ يقول: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٠]. ورد في التفسير أنه: «لقد كرم الله بنى آدم بالاستعدادات، التي أودعها فطرتهم، التي تؤهلهم للاستخلاف في الأرض، ومن هذا التكريم أن يكون الإنسان قيمًا على نفسه، محتملًا تبعة عمله»[1]، وأن يصير مسئولًا عن نفسه ومن يعول فيتحمل جزاء ما قدم وسعى، والفرد الذي تعطل عن الكسب يسأل عن ذلك لو كان له دخل في بطالة نفسه أو غيره، قال الله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم:٣٩-٤١].

إن ذهول البعض عما خلق من أجله من عمارة للكون، وركونهم إلى الكسل والقعود لأكبر دليل على تغافلهم عن تكريم الله للإنسان كما جاء بالقرآن في سورة الإسراء وقد تنبه الدكتور محمد عبد الله مغازي إلى أن المتعطل: «إذا علم أن مناط تكريم الله له، هو إنسانيته فيه وبشريته، إذ هو الذي استخلفه الله في الأرض لعمارتها، ومن ثم فإن البطالة لهذا الإنسان

---

(١) «في ظلال القرآن» سيد قطب ٤/ ٢٢٤١.

محظورة شرعًا لتعارضها مع الإنسانية التي هي مناط التكريم» [1]، ويمكن بيان أثر تكريم الإنسان في مواجهة البطالة من حيث التذكير وبيان المسئولية، وبيان حق الشخص في العمل كحق مدني من خلال:

١ – تذكير الفرد بمنزلته التي أنزله الله فيها، كحافز على العمل، أو البحث عنه بجد.

٢– التذكير بأن الكسب والعمل حق الفرد، ويجب أن يتوفر له بموجب كرامته الإنسانية.

٣ – مسئولية الفرد المكرم عمن يعول، فالمتعطل العائل يجب عليه الكسب بقدر ما لابد منه، ولا يكون كلًّا على أحد.

٤ – مسئولية الفرد المكرَّم عن بطالته؛ إذ هي تنافى الكرامة الإنسانية والله ﷻ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١].

٥ – مسئولية المجتمع عن أصحاب البطالة، وهم المكرمون عند الله، الذين ابتلاهم بنقصان العمل ويظهر دور المجتمع في معاونتهم، بالإنفاق، وتيسير العمل، وتوسيع آفاقه من خلال تشغيل الأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال لهؤلاء الشباب الذين يقدرون على الكسب والعمل ويطلبونه، قال الله ﷻ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف:٣٢]. فتقسيم الأرزاق بيد الله سبحانه، قوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ وتقسيم المعايش يستلزم تنوع الأعمال والمكاسب التي تحقق المعايش، يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: «إن الحكمة القرآنية في علاج البطالة اقتضت التعبير بلفظ «بعض» عن العامل وصاحب العمل، فقال: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ ولم يقل «ليتخذ الغنى الفقير، أو القوى الضعيف، أو المكتسب المتعطل»، للإشعار بأن هذا الغنى يحتاج إلى الفقير، وأن

(١) «دور الوقف والزكاة في مواجهة البطالة» دكتور محمد عبد الله مغازي ص ٦٨.

الصانع يحتاج إلى الزارع، وكل صاحب وظيفة أو حرفة محتاج إلى خبرة غيره»[1]، كما يفيد هذا الأسلوب السابق الإبقاء على كرامة الفرد، حتى ولو كان في حاجة إلى عون الآخرين، حيث إن كرامة الفرد ألزم، وأدوم إذ هي ثابتة له أبدًا أما الحاجة فغير لازمة، فهذه مسئولية المجتمع، وهى سنة من سنن الله في الاجتماع.

٦ – ضرورة سعى الدولة في تشغيل المتعطلين، حيث إن العمل حق كل فرد قادر عليه، كما سبق بيان ذلك.

الأساس الثاني: تسخير الله الكون للإنسان:

لقد ذلل الله ﷻ الكون كله لهذا المخلوق المكرم، تحقيقًا لاستخلافه في الأرض، وهذا التذليل والتسخير لمقدرات الكون، بل وجميع المخلوقات من نعم الله على الإنسان، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥]. وكم في كون الله من أشياء مسخرة للإنسان وهو منصرف عنها، قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤]. فتذكير الإنسان بنعم الله المتمثلة في تسخير الكون له، مما يثير حفيظة المرء إلى إثارة ما تحت يده من موارد وثروات، بل يقدم أيضا العمل، الذي به يتحدث بنعمة الله عليه في تسخيره الكون له شكرًا لله على أنعمه.

وتذليل الله ما في الأرض للإنسان، يقتضى انتفاع الفرد بما خلقه الله، واستثماره لما في الأرض من خيرات وثروات، لذا سمى القرآن الكريم الكسب لتحصيل المعايش «ابتغاءً من فضل الله» حيث قال ﷻ: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠]. وهذا أمر قرآني يجب على الإنسان أن يأتمر به.

---

(١) «معاملات البنوك وأحكامها الشرعية» دكتور محمد سيد طنطاوي ص٤٦. «إحياء علوم الدين» الإمام الغزالي ٣/ ٣٠٩.

ولقد وصف الله الحياة على الأرض بأنها متاع ومستقر فقال مخاطبًا آدم، أبى البشرية عليه السلام: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة:٣٦]. ليعلم الإنسان أن استقراره عليها ومتاعه فيها إلى حين.

وإذا تأمل الإنسان عمومًا، والمتعطل خصوصا الآيات القرآنية التي تناولت حقيقة التسخير فإنه سيجد أنها قد خاطبت أفراد الجنس البشرى، وذلك من خلال الخطاب الذي يعم كل العقلاء، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]. وقال عز وجل: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:١١]. وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[النحل:١٢]. فإن هذا الضمير في «لكم» في كل من هذه المواضع، لكل من يعقل الخطاب، والمتعطلون من هؤلاء العقلاء الذين خوطبوا بذلك.

والخطاب في هذه الآيات فيه من التحفيز ما يكفى المتعطل جبرًا، أو اختيارًا على استعادة قواه وإرادته المتوجهة إلى بذل الجهد وإفراغ القوى في إنجاز ما ينفع به نفسه وأهله وأمته والناس أجمعين، فهذه وظيفة الإنسان في الحياة ليعيش من إثارة للأرض التي سخرها الله لنا، أو ضرْبٍ في الأرض التي سلك لنا فيها سبلًا.

وقد أوضح الإمام الشاطبي ضرورة الكسب من ناحية الشرع فقال: «فإذا قيل للإنسان لم تكتسب لمعاشك بالزراعة أو التجارة أو غيرها؟ قيل: لأن الشارع ندبني إلى تلك الأعمال، فأنا أعمل على مقتضى ما أمرت به، كما أمرني أن أصلي، وأصوم، وأزكي، وأحج إلى غير ذلك من الأعمال التي كلفني بها» [1]؛ وبعد فهذا هو الأساس الثاني للاستخلاف، من تسخير الله

---

(١) « الموافقات في أصول الشريعة» أبو إسحاق الشاطبي ١/ ١٧٤،وقد أفاد هذا المعنى أيضًا القاضي عبد الجبار شرح الأصول الخمسة ص٣٦٣ وبعدها.

الكون للإنسان، وماله من دور كبير يدفع المتعطل إلى الكسب والعمل، وهو وسيلة من وسائل القرآن في علاج البطالة، مما ينبغي تذكير المتعطلين بها، حتى يشكروا نعمة الله عليهم بمزيد من العمل وبذل الجهود في تعمير الكون الذي سخره الله لهم.

الأساس الثالث: أمر الله للإنسان بعمارة الأرض:

إن الله ﷻ أمر بني آدم بعمارة الأرض، واكتشاف أسرار كون الله، وإخراج ما في الأرض من خيرات وثروات، فقال سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[هود:٦١]. ومعنى «واستعمركم فيها» أي: وطلب منكم عمارتها، وإصلاح ما فسد فيها، ومن البديهي أن عمارة الأرض لا تكون إلا عن طريق الكسب والسعي في الأرض لتعبيد ما فيها من سبل للضاربين، وحفر باطنها لاستخراج ثرواتها ومواردها التي ينتفع بها الإنسان، قال أحد العلماء: «إن السعي الإنساني لعمارة الأرض وسيلة لضمان المعيشة الرغيدة واستقرار الحياة، ولولا سعى الإنسان لما أمكن له أن يبقى حيًّا على وجه الأرض»[1]، فقد ذكر الله تعالى ذلك لآدم عليه السلام وذريته من بعده، قال: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة:٣٦]. فوصف الحياة الإنسانية في الأرض بالاستقرار والمتاع، ولكن إلى زمن معين، أي: لانتهاء أجل الفرد، فينبغي على الفرد الإنساني أن يتخذ كل الوسائل والأساليب المشروعة، لإنجاز هذا الاستقرار، وبقدر ما يأخذ الإنسان بأسباب الاستقرار بقدر ما تتحقق عمارة أرض الله التي استخلف الله فيها الإنسان.

إن سعي المسلم لإشباع حاجاته الضرورية وحاجات الناس من حوله ليستكفى حاجاته بعمله وكسبه، لا يكون في ذلك سعيًا لنفع فردي، حيث إنه يعمل على إنتاج ما يحتاج إليه مجتمعه، ووطنه، بل والبشرية كلها، إذا أتقن حرفته وتاجر فيها وبذلك يتم تحقيق عمارة

---

(١) «العمل والإنتاج في المنظور الإسلامي» منصور الرفاعي عبيد ص٣٦ وبعدها. «أصول الاقتصاد الإسلامي» دكتور أمين مصطفى عبد الله ص ١٠٨.

الأرض كما أراد الله، وهذا الجهد الفردي يعود نفعه على الآخرين ولا شك أنه أمثل صورة من صور عمارة الأرض، فلا مناص من حركة الإنسان المتعطل ليتحقق هذا التكليف الإلهي، الذي كلف الإنسان به حينما جعله خليفة في الأرض وطلب منه عمارتها، وهذا يدل على أن استخلاف الإنسان في الإسلام يعالج مشكلة البطالة بمنطق فطرى سديد، لأن الفرد المتعطل إذا أقدم على عمارة الأرض بموجب ذلك الوعد الرباني ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[هود:٦١]. يكون بذلك نافعًا لنفسه وغيره، لذا وصف الله هذه العمارة بمباشرة عمل الأيدي حيث قال ﷻ: ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس:٣٥]. ومن اليقين أن الله هو الذي امتن علينا بإنبات النبات والزرع، ولكنه سبحانه ذكر عمل البشر بأيديهم من بذر، وسقي، وحرث، وتنقية وغيره، حتى يستقر هذا المعنى التعميري في الأذهان، وإذا تأمل المرء المتعطل هذا الضمير، الذي خاطبه الله به في خاصة نفسه هو وكل من يعقل، لتحفز للكسب واجتهد في اقتناص العمل المناسب له.

وبعد فقد تبين ما للاستخلاف البشري في الأرض من دخل كبير في مواجهة مشكلة البطالة، إذ بالاستخلاف يتحفز الفرد لممارسة الأعمال، والبحث عنها، بل ومعاونة من لم يجد العمل.

ب- مجالات الاستخلاف:

إن استخلاف الإنسان في هذه الأرض كان لحكمة عليا، هي عبادة الله وحده لا شريك له، وهذه العبادة لله رب العالمين من لوازمها الكسب والعمل، من أجل تحقيق شرائطها كستر العورة للمصلى بثوب يشتريه الإنسان من مال اقتناه الفرد أجر ما قدم من عمل، لذا قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١]. ومن هنا فقد تعددت مجالات الاستخلاف وهى فيما يلي:

١ - الأرض ومواردها وثرواتها:

فالأرض محط خلافة الإنسان قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[الرحمن:١٠]. وقال سبحانه: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات:٣٠-٣٣]. فالأرض هي المكان الذي يقدم الفرد لنفسه فيه ما يصلح حاله من رزق يبتغيه، ومال يقتنيه لحاجته، من أجل ذلك جعل الله ﷻ أقوات العباد مركوزة في الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت:١٠]. وما على المرء إلا طلب القوت بكسبه وكد يده.

وقد ظهر استخلاف الإنسان في الأرض في مجالات العمل والكسب الطبيعي الذي شرعه الله ﷻ لعباده المؤمنين، من خلال ما يلي من مكاسب:

١ - الزراعة.

٢ - الصناعة وثرواتها المخبوءة في باطن الأرض.

٣ - التجارة.

٤ - المهن الحرفية.

تعتبر هذه المكاسب هي أصول الأشغال والأعمال والمكاسب ويتفرع عنها مئات بل آلاف الأعمال الأخرى الجزئية.

والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ [الحجر:١٩،٢٠]. وقد بين الإمام الماوردي وجوه المكاسب، فقال: «إن الله جلت قدرته جعل سد حاجات العباد من وجهين مادة وكسب: فأما المادة فهي حادثةٌ عن اقتناء أصول نامية وهى شيئان: نبت نام وحيوان متناسل، وأما الكسب فيكون بالأفعال الموصلة للمادة وذلك من وجهين: أحدهما تقلب في تجارة، والثاني تصرف في صناعة فصارت وجوه المكاسب أربعة: نماء زراعة، ونتاج حيوان، وربح تجارة، وكسب صناعة»[1].

---

(١) «أدب الدنيا والدين» الماوردي ص ٢٥٤، «المقدمة» ابن خلدون ص ٤٢٤.

٢-الأموال (نقدًا وعينًا):

واستخلف الله الإنسان أيضًا في هذا المال الذي جبل على حبه حبًّا جمًّا، والبخل به عن أن يصل إلى غيره إلا بمعالجة صعبة، قال الله ﷻ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر:٢٠]. وقال سبحانه: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾[الإسراء:١٠٠].

وفى واقع الأمر فإن المال الذي يجمعه الإنسان، عارية فقط والمالك الحقيقي له هو الله سبحانه وفي بيان هذه الحقيقة قال الله ﷻ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧]وقال ﷻ: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[النور:٣٣]. فيجب على الإنسان أن يتقى الحرام في جمع الأموال واقتنائها، وفى إنفاقها وإخراجها من حوزته، وتبدو مظاهر الاستخلاف في الأموال من خلال ما يلي:

- استثمار الأموال في مجال أنشطة العمل المختلفة لتشغيل المتعطلين.

- إعطاء الزكاة للفرد القادر على الكسب، ولكن لا يجد آلة العمل فيشتريها، وفي هذا كفاية العمر له ولمن يعول.

إن نظرة الإسلام لاستخلاف الإنسان في الأرض تواجه مشكلة البطالة مواجهة حاسمة، فيعتبر فتح مجالات العمل لعمارة الأرض وإثارة ما فيها من موارد ضرورة لعلاج هذه المشكلة، كما أن الإسلام بتلك النظرة يجعل المتعطل يقف على حقيقة رسالته في الحياة فيستعيد ثقته، فيبدأ التفكير في بذل الجهد، وبذلك يكون فردًا في المجتمع إيجابي التأثير والتأثر، فينفع نفسه وأهله ومجتمعه.

المبدأ الثاني: ضرورة العمل في القرآن الكريم:

لقد أفاض القرآن الكريم في حديثه عن العمل والاكتساب وهو أحد الوسائل الأصلية في علاج البطالة، حيث يحث القرآن على العمل لكسب الضرورات، ويهيئ الوقت المناسب للاكتساب، كما ييسر سبل ابتغاء الرزق من خلال تعدد أوجه الكسب ويتضح ذلك فيما يلي:

١ - القرآن يحث على الكسب والعمل:

إن الإنسان إذا خاطبنا فيه الفطرة نجد أن فطرته تقوم على ضرورة الاكتساب في الحياة، ولا حرج على المرء أن يعمل أو يبحث عن العمل إذا سمع الله ﷻ يقول: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ:١١]. أي وجعلنا وقت النهار لتعملوا فيه، وتكتسبوا أرزاقكم، فالقرآن يبين وقت الاكتساب الطبيعي للإنسان؛ إذ النهار وقت النشاط وقابلية بذل الجهد، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف:١٠]. ولما كان الإنسان مكرّمًا من الله ﷻ وممكن له في الأرض فقد هيأ الله له سبل ابتغاء الأرزاق ويسرها له في مختلف أنواع المكاسب، من زراعة وصناعة وتجارة، يقول الله حاضًّا على الزراعة: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣،٦٤]. ويقول تعالى آمرًا نبيه داود عليه السلام أن يصنع الدروع من حديد سابغات: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ:١٠،١١]. ويقول أيضًا معبرًا عن هؤلاء الذين يسافرون لجلب السلع ليتاجروا فيها: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[المزمل:٢٠]. فالقرآن الكريم بذلك يحث الإنسان على ما يبذل فيه جهده مهما ضاقت عليه الحياة؛ فإن بذل الجهد في البحث عن العمل المناسب وسيلة لخروج المتعطل من أزمته»[(١)].

وفي جمع القرآن بين الجهاد في سبيل الله، وبين التجارة والربح عن طريق الضرْب في الأرض، وابتغاء الرزق، ما يدل على ضرورة العمل والاكتساب، وأهميته للأمة كالجهاد في سبيل الله تعالى[(٢)]، وفيه دلالة على أن العمل يحتاج للمشقة وبذل الجهد كالجهاد تمامًا؛ فإذا تأمل الإنسان عمومًا والمتعطل خصوصًا هذه المنزلة الرفيعة للعمل في الإسلام أقبل على العمل وزاول المهن، واحترفها ابتغاءً للرزق من فضل الله تعالى.

---

(١) «عظمة الإسلام» محمد عطية الأبراشي ٢/ ٣٢٢.

(٢) «عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي» حمزة الجميعي ص٢١١.

٢ - القرآن الكريم والملائمة بين العبادة والكسب:

إن القرآن الكريم من خلال آياته البينات التي تعرضت لأحكام بعض العبادات أشارت إلى ابتغاء فضل الله بطلب الاكتساب أو الضرب في الأرض مما يبرهن على أن الإسلام الحنيف وازن بين مطالب الدين ومطالب الدنيا في وسطية لا يوجد لها نظير في أي دين آخر، وفي سياق آيات أحكام الحج فقال الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ [البقرة:١٩٨]. وهذا دليل على أن القرآن الكريم عظم من شأن الاكتساب، والسعي في طلب الزرق، يقول الإمام القرطبي: «وفى الآية دليل على جواز التجارة في الحج للحاج مع أداء العبادة وأن القصد إلى ذلك لا يكون شركًا ولا يخرج به المكلف عن رسم الإخلاص المفترض عليه»[(١)]، فأي إفادة للإنسان المتعطل أكثر من تلك الملائمة بين العبادة والعمل في سهولة ويسر؟.

وإذا كان الجمع بين التجارة والحج يجوز للحاج أثناء حجه، فإن التجارة تجوز – من باب أولى – غير الحاج في الموسم، فلا منافرة بين الاكتساب والتعبد في الإسلام، بل إن العمل في الإسلام يرقى إلى درجة تكفير الذنوب به، وابتغاء الأجر من الله، من خلال السعي على الأهل والولد؛ ففي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ: «على كل مسلم صدقة، فقالوا: يا نبي الله فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا حاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف» [(٢)]، فهذا الحديث يحث على العمل من خلال عبادة الصدقة.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي تحقيق دكتور محمد إبراهيم الحفناوي ٢/ ٧٧١، المجلد الأول.

(٢) أخرجه الإمام البخاري كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة فمن لم يجد فليعمل بالمعروف، ١/ ٢٥١.

٣ - أدلة وجوب العمل والاكتساب بين النقل والعقل:

لقد أمر القرآن الكريم بالانتشار في الأرض، فقال ﷻ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة:١٠]. فالآية تدل على حكم العمل والاكتساب، قال الإمام محمد بن الحسن الشيباني: «والمذهب عند جمهور الفقهاء ﷺ أن الكسب بقدر ما لابد منه فريضة، فمقدار ما يقيم به كل أحد صلبه، يفترض على كل أحد اكتسابه عينًا؛ لأنه لا يتوصل إلى إقامة الفرائض إلا به، وما يتوصل به إلى إقامة الفرائض يكون فرضًا»[١]، فمن تعطل عن العمل، فأصابه الفقر والجوع هو ومن يعول، فعليه البحث الجاد عن العمل الذي يكتسب به ما يقيم صلبه ويعين أهله وولده، قال الله تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق:٧]. فلابد من الإنفاق على الأولاد من المكسوب، ولا يتصور ذلك إلا بعد الكسب ومالا يتوصل إلى أداء الفرائض إلا به يكون فرضًا.

وبعد ظهور حكم العمل والاكتساب فما على المتعطل إلا أن يبحث عن عمل يناسبه، ويسأل أهل الحل والعقد، ويبذل الجهد في ذلك؛ فهذا واجب من الواجبات، وعلى الدولة في الإسلام أن تيسر العمل لأهل القدرة عليه والرغبة فيه إجراءً لحق هذه الفريضة في المجتمع الإسلامي، وعلاجًا لهذه المشكلة، وقطعًا لدابر البطالة من بين الشباب الذين هم عدة الأمم، ووقودها الذي يتحقق بسواعدهم تقدم البلاد وازدهارها.

وقد بين الإمام الشيباني أن: «المعقول يشهد بأن الاكتساب فرض واجب بقدر ما لابد منه، فإن في الكسب نظام العالم، والله تعالى حكم ببقاء العالم إلى حين فنائها وجعل سبب البقاء والنظام كسب العباد، وفي تركه «أي التعطل عن العمل» تخريب نظامه وذلك ممنوع منه»[٢].

---

(١) «الكسب» محمد بن الحسن تحقيق دكتور سهيل زكار ص ٥١ – ٦٤.

(٢) «الكسب» محمد بن الحسن ص٥٤، «الاختيار لتعليل المختار» أبو الفضل الموصلي٤/ ٢٨.

والدليل على أن تخريب نظام العالم ممنوع منه، النهى عن الإفساد في الأرض والنهى عن قتل النفس، والنهى عما يؤدى إلى التهلكة، ولا شك في أن البطالة خطر يهدد المجتمعات، وقد تؤدى إلى فساد في الأرض عن طريق آثارها السلبية، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[الأعراف:٨٥].

لذا كان العمل والاكتساب هو العلاج القرآني الذي دلنا الله ﷻ عليه والوسيلة الأصلية العملية لعلاج البطالة في أي عصر ومَصْر، وكان الأمر الذي أمر الله ﷻ نبيه الخاتم ﷺ في القرآن قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: ٧، ٨]. وفى التفسير: «إذا علمت أن مع العسر يسرًا، فاعلم أن مع التعب في العمل النافع راحة، فإذا فرغت من عمل من أعمالك النافعة لك ولأمتك، «فانصب» أي: فخذ في عمل آخر واتعب فيه فإنك تجد لذة الراحة عقب النصب بما تجنيه من ثمرة العمل»[(١)]، فإذا عرف المتعطل منزلة العمل، وحكمه، وضرورة مباشرته، فإنه يقبل عليه، ويزاول المهنة التي تناسبه، وإلا فإنه يسعى في تعليم حرفة يذهب بها عن نفسه إصر البطالة[(٢)]، حيث إنه أيقن جدوى ما يسعى إليه، وضرورة ما يباشر من عمل.

المطلب الثاني: (محو السلبيات):

ويتضح ذلك الموقف القرآني من البطالة من خلال محو السلبيات فيما يلي:

أولًا: التهديد والتنديد بالقاعدين في القرآن، ففي غزوة تبوك وهى إحدى الغزوات التي ذكر الله طرفًا منها في سورة التوبة، في هذه الغزوة تعلل بعض من يظهر الإسلام بعلل واهية حتى لا يخرجوا مع رسول الله ﷺ، في وقت العسرة؛ فما كان إلا أن فضح الله خبث

---

(١) «تفسير جزء عم» الإمام محمد عبده ص٨٩، «في ظلال القرآن» سيد قطب ٦/ ٣٩٣٠.

(٢) الإصر: هو الأمر الذي يقيد ويثبط عن الخيرات والوصول إلى الثواب، قال الله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ، «المفردات في غريب القرآن» الراغب الأصفهانى ص١٩.

طوية هؤلاء القاعدين بعلل فارغة فقال ﷻ: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٨١]. وندد ربنا بسوء ما فعله هؤلاء القاعدين، وما أشبه الكسالى عن الكسب بهؤلاء القاعدين إذ ذمهم الله حين قال: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ [التوبة:٨٣]. فما أشبه المتعطل عن عمل والكسب مع قدرته عليه بهؤلاء الخالفين؛ الذين تعللوا بالأعذار الفارغة، والخالفون هم الذين تخلفوا عن الجهاد من العجائز والنساء والصبيان.

وفى ذلك ما يبرهن على عدم التسليم للقعود الاختياري حيث لم يرض الله ﷻ عن تعطيل هؤلاء لقواهم البدنية، وخذلانهم عن العمل الذي كلفوا به، في حين أن الله أمر نبيه ﷺ، أن يأمر أصحابه بالعمل، وأنه يراه فقال ﷻ: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥]. لقد كان في هذا التنديد بقعود القاعدين تشجيعًا على إجابة دعوة رسول الله للجهاد بالنفس والمال، والعجيب أن هذه الغزوة لم يحدث فيها قتال قط إذ صالح النبيُّ ﷺ صاحبَ أيلة على الجزية [1]، فكان بذل المسلم لجهده في طلب الرزق الحلال، مما يجب الالتزام به، إتباعًا لأمر الله بالعمل.

وندرك من ذلك كله أن الأصل في الإسلام هو بذل الجهد والمال للخروج من مشكلة البطالة حيث قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة:٧٩]. وفي ذلك إعلان لموقف القرآن من البطالة الاختيارية من الذم والتنديد.

إن القاعدين المثبطين أفراد كسالى أو في قلوبهم مرض يبوءون بآثامهم يوم القيامة تشهد بذلك آيات القرآن الكريم، حيث لا يستوي عند الله القاعدون مع العاملين الذين بذلوا الجهد، فيقول تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ

---

(١) «السيرة النبوية» ابن هشام٤/ ٣٨٧ «فقه السيرة النبوية» محمد سعيد البوطي ص٢٩٧.

ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٥]. قال الإمام القرطبي: «أهل الضرر هم أصحاب الأعذار؛ إذ قد أضرت بهم حتى منعتهم الجهاد وصح وثبت أنه ﷺ قفل من بعض غزواته فقال: «إن بالمدينة رجالًا ما قطعتم واديًا ولا سرتم مسيرًا إلا كانوا معكم، أولئك قوم حبسهم العذر» [1]، وهذا يدل على أن البطالة عن العمل لا يرضى بها المجتمع المسلم إلا لأصحاب الأعذار من مرض أو زمانة أو كبر، وأن اختيار المرء القعود عن الكسب في الإسلام ذنب من الذنوب التي ينكرها عليه المجتمع كله.

والبطالة المقنعة أن يظهر المرء العمل وهو في الواقع لا يقدم شيئًا يذكر، أو يثبط غيره عن العمل فهؤلاء معوقون يعلم الله ﷻ حقيقة ما تكنُّ صدورهم، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب:١٨]. فعلمُ الله – تعالى – بهؤلاء المعوقين يدل على التهديد الشديد لهم؛ إذ لم يقعدوا عن بذل الجهد فحسب، وإنما صاروا دعاة بطالة وتثبيط عن العمل، وعلاج هؤلاء من خلال تفعيل واجبات العمل من قاعدة الجزاء والحساب، وأن الأجر لا يكون إلا في مقابل العمل الصحيح، قال الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران:١٩٥]، فالأجر هو ما يحصل عليه العامل في مقابل جهده الذي يبذله في العملية الإنتاجية عن كل فترة زمنية: «ويتحدد الأجر في النظام الاقتصادي الإسلامي على أساس مبدأ «إنسانية العامل» بمعنى أن العامل إنسان، ومن ثم يجب مراعاة حالته عند تحديد أجره بحيث لا يقل عن الوفاء بحاجاته الضرورية على الأقل» [2]؛ لذلك قال الله سبحانه: ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الشعراء:١٨٣].

---

(١) أخرجه البخاري «كتاب المغازي» ٣/ ٩٠، «الجامع لأحكام القرآن» الإمام القرطبي ٥/ ٢٩٩.

(٢) «عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي» حمزة الجميعي ص٢١٧، «الإسلام والاقتصاد» دكتور عبد الهادي علي النجار ص٣٤.

ثانيًا: وسيلة ضرب المثل للمتعطل تنفيرًا وتحفيزًا:

لقد تعددت الوسائل القرآنية في أداء المعنى الواحد مما يدعو إلى تسجيل الأمر في العقول، واقتناع الأفئدة به، من هذه الوسائل الدعوية وسيلة ضرب المثل، وهي من أساليب الموعظة بالتي هي أحسن؛ فالأمثال أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع، وقد أحسن الله – تعالى – الأمثال في القرآن للتذكرة والعبرة، قال الله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨]. وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣]. يقول مناع القطان: «والحقائق السامية في معانيها إذا صيغت في قالب تمثيلي حسن يقربها للأفهام بقياسها على المعلوم اليقيني، والتمثيل هو القالب الذي يبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان بتشبيه الغائب بالحاضر، والمعقول بالمحسوس، وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه»[1]، فضرب الله ﷻ المثل بالمتعطل من خلال سبع صفاته حتى يتجنبها المسلم.

١ – فوائد ضرب المثل:

وتظهر فائدة المثل هنا في الصور الآتية:

الأولى: تنفير الإنسان من التصوير القبيح والصفات السيئة التي يرسمها المثل للمتعطل، وفي ذلك تنفير من حالة البطالة فيسعى المرء إلى بحث جاد عن عمل، ويتخذ جميع السبل ليخرج من حالة البطالة التي يعيش فيها.

الثانية: العلم بضرورة الكسب والعمل، عندما يسمع الفرد المثل للمتعطل فيقتنع بالعمل، بل ويتولد لديه الدافع القوى لبذل جهده في العمل؛ فيحبه ويكره القعود والبطالة، وكفى بذلك فائدة في علاج بطالة الشباب الذي تأثر تأثرًا نفسيًّا من البطالة.

---

(١) «مباحث في علوم القرآن» مناع القطان ص٢٨١.

الثالثة: تنبيه لولاة الأمور إلى الآثار النفسية المترتبة على طول فترة البطالة لدى الشاب؛ فالفرد إذا طالت فترة بطالته، فإنه ينقلب عنصرًا مضرًّا بالمجتمع من حوله، وفى هذا تحفيز لولاة الأمر بأن يأخذوا على عاتقهم كل السبل الممكنة التي شرعها ديننا الحنيف للتوسع في الأعمال وخلق فرص عمل لهؤلاء الشباب المتعطلين.

٢ - المثل الذي ضربه الله للمتعطل:

قال الله: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النحل:٧٦]. وقبل تناول هذا المثل القرآني بالشرح والبيان من الضروري الكشف عن حكمة من الحكم القرآنية في ذكر هذا المثل في تلك السورة الكريمة، والتي أطلق عليها العلماء أنها «سورة النعم»؛ لأن الله ﷻ قد عدّد فيها من نعمه على عباده[(١)]، وقال: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[النحل:١٨].

ولاشك أن من ضمن هذه النعم مجالات عمل للمتعطل في البر والبحر حيث أشارت السورة لمجالات الاشتغال بالزراعة، والصناعة، والتجارة؛ فإشارتها لتلك المجالات يعتبر من نعم الله على عباده، وبذلك تمت النعمة والفضل الإلهي على المسلمين، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣].

العرض والتفصيل:

لقد ضرب الله المثل لرجلين فذكر صفات الرجل الأول، وهى أنه: أبكم، لا يقدر على شيء، كل على مولاه، أينما يوجهه لا يأت بخير، وأما الرجل الثاني فهو من يأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم، أوضح المفسرون أن هذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه – ولله المثل الأعلى – وللوثن، في التوحيد والإشراك[(٢)]، والذي يعنينا في هذا المثل معرفة هذه الصفات المذكورة في

---

(١) «الإتقان في علوم القرآن» السيوطي ١/ ١٥٦، «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي ١٠/ ٤٢٢.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي ١٠/ ٤٩٧، «في ظلال القرآن» سيد قطب٤/ ٢١٨٤، «الكشاف» الزمخشري ٢/ ٤٢١.

الآية سواء أكانت للوثن أو غيره؛ وأرى أن هذه الصفات التي ضرب الله المثل بها للوثن تصلح بيانًا لصفات المتعطل؛ فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، هي ما يلي:

الوصف الأول: الأبكم: «وهو الأخرس الذي خلق ولا نطق له، وقيل: الأبكم الذي له نطق ولا يعقل الجواب» [1]، والمعنى الثاني أشبه بحالة المتعطل، إذ لا ينخرط فيمن حوله من الناس، وينعزل عنهم ولا يجيد الإبانة عما يختلج في صدره من مطالب وإرادات؛ إذ له نطق وآلة، ولكن البطالة اضطرته إلى الشعور باليأس وقد تملك منه لدرجة أنه أصيب بالبكم فلا يتكلم مع قدرته على الكلام.

الوصف الثاني: لا يقدر على شيء: إن الوصف الثاني مكمل للأول، فحيث بين الوصف الأول نفي القول مع قدرة المتعطل، بين الوصف الثاني نفي الفعل وهذا النفي ليس لأنه ناقص الأطراف بل له يدان وقدمان، لكنه لا إرادة له توجهه لإبرام العقود، ولا قدرة له على العمل والكسب، حيث لا يجيد الحرفة أو المهنة التي يبتغي بها رزقه من فضل الله؛ فعدم القدرة لا يفهم منه نقص الأطراف بقدر ما يفهم منه نقص التدريب والإرادة والعزم على اختراق صعاب الحياة؛ فالمتعطل سليم الحواس، ولكن لا يقدر على إنجاز عمل لم يعهد من قبل بالتعليم فهو لا يقدر على شيء.

الوصف الثالث: كَلٌّ على مولاه: هذا الوصف الثالث الطبيعي لحال من لا يبين بحاجته، ولا يقدم ما ينفعه؛ فمن أين تقضى حاجاته في الحياة؟ فيجيب هذا الوصف على هذا السؤال الطبيعي، أنه عبء ثقيل على من يلي أمره، ولفظة «الكلّ» وردت في العرف الشرعي في عدة مواضع كلها تبين أن المرء الكلّ – وهو من يعان من غيره – لا يقدم أي شيء إما لضعفه أو لصغره أو ليتمه؛ فالسيدة خديجة وصفت الرسول بقولها: «وتحمل الكلّ» [2]، وهو من لا يستقل بأمره، وفى حديث بيعة النساء روي أنه لما بايع رسول الله ﷺ النساء قامت امرأة

---

(١) «المصباح المنير» الفيومي ص٤١.

(٢) رواه البخاري في الجامع الصحيح، باب كيف كان بدء الوحي، ١/ ٧، المجلد الأول.

جليلة – كأنها من نساء مُضَر – فقالت: يا نبي الله إنا كلٌّ على آبائنا فما لنا من أموالهم؟ قال: «الرطب تأكلنه وتهدينه» [1]؛ فهذا استعمال لفظة «الكلّ» في القرآن والسنة أطلق على من لا يستقل بأمره، من الفقير واليتيم والمرأة والطفل ومن لا يستقل بأمره، بل يحتاج إلى عون مولاه، والمتعطل يحتاج إلى عون مجتمعه كله.

الوصف الرابع: أينما يوجهه لا يأت بخير: حينما يرسله مولاه، يصرفه في طلب حاجة، أو قضاء مصلحة لم ينفع ولم يأت بخير ورشد، هل يستوي من هذه أوصافه مع من يأمر بالعدل، راجح العقل، ذو تجربة وخبرة واستقامة، وهو على صراط مستقيم، يقول سيد قطب: «فالمثل يصور الرجل الأبكم الضعيف البليد الذي لا يدرى شيئا ولا يعود بخير، والرجل القوى المتكلم الآمر بالعدل، العامل المستقيم على طريق الخير ولا يسوى عاقل بين هذا وذاك» [2].

إن هذه الأوصاف السابق ذكرها لمن لا يستقل بأمره، لمن أعجب العجب أن يرد ذكرها في سورة النعم التي فصل الله فيها الأبواب الرئيسية للمكاسب من زراعة، وتربية الأنعام، وطلب الرزق في البر والبحر، وصناعة، وتجارة، فكأن المثل يربط بين المتعطل الذي لا يجد ما يعمله، وبين أبواب المكاسب ليبصر بعينه هذه النعم، وصدق الله إذ يقول: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ [القيامة: ١٤، ١٥]. فالله سبحانه كرم الإنسان في الكون بتسخيره كله للإنسان حتى يتفاعل معه، ومن لم يفعل وتأخر ولم يأت بخير فإن الله سائله عن ذلك، قال الله ﷻ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء:١٣، ١٤]. فكل إنسان ملتزم بعمله وما قدر عليه من خير وشر، وهو بصير بما ينفعه أو يضره.

****

(١) أخرجه أبو داود «كتاب الزكاة»، باب المرأة تتصدق من بيت زوجها ٢/ ١٣٤ رقم ١٦٨٦.
(٢) «في ظلال القرآن» سيد قطب ٤/ ٢١٨٤.

المبحث الثاني

موقف الرسول ﷺ من البطالة

لا شك أن الرسول بصفته قدوة الأمة والمشرع لها أمر دينها، فإن نظرته للبطالة تجعلنا ندرك التصور الإسلامي الصحيح للبطالة كمشكلة عانى منها أفراد على عهده ﷺ، ويتكون هذا المبحث من مطالب أربعة:

المطلب الأول: الرسول قدوة في السعي والكسب:

ويتضح ذلك فيما يلي:

أ- ما قبل البعثة:

إن شخصية الرسول ﷺ لها من الكمال الخلقي والنفسي ما يهيئ له أن يكون قدوة للناس، الذين ينشدون تنمية مهاراتهم، ولا يكون الواحد منهم كلا على الناس، فلقد نشأ النبي الأكرم يتيمًا فكان ﷺ بعد وفاة جده عبد المطلب، في كفالة عمه أبى طالب، قال ابن إسحاق: « وكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ بعد جده فكان إليه ومعه»[1]، ولما تم للنبي ﷺ من العمر اثنتا عشرة سنة، سافر عمه أبو طالب إلى الشام في ركب للتجارة، فأخذه معه، ثم أخذ رسول الله يستقبل فترة الشباب من عمره فبدأ بالسعي للرزق والاكتساب.

فراح يشتغل برعي الغنم ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه وأنت؟ قال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»[2]؛ فإقبال الرسول على رعى الأغنام لقصد اكتساب القوت فيه دلالات للمتعطل يستدل بها على ما ينبغي عليه عمله، وقد أشار لبعضها الشيخ محمد سعيد البوطي وهى:

---

(١) «السيرة النبوية» ابن هشام تحقيق دكتور أحمد حجازي السقا (١/ ١١٠).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الإجازة باب رعى الغنم على قراريط، ٢/ ٣٣ والقراريط جمع قيراط وهو جزء من الدينار أو الدرهم. وقيل القراريط اسم موضع بمكة والأول أرجح فتح الباري (٤/ ٥١٦).

«الأولى: الذوق الرفيع والإحساس الدقيق اللذان جمل الله تعالى بهما نبيه محمدًا، فلقد كان عمه يحوطه بالعناية والإنفاق، ولكن النبي ما أن آنس في نفسه القدرة على الكسب حتى أقبل يكتسب ليخفف مئونة الإنفاق عن عمه، وذلك في باكورة فترة الشباب للنبي ﷺ وهذا يدل على أنه ما كان كلًّا على عمه أبي طالب بل بذل الوسع والجهد بنفسه.

الثانية: كان من الجائز عقلًا أن يهيئ الله تعالى للنبي ﷺ من وسائل العيش ما يغنيه عن الكدح والاكتساب، ولكن الحكمة الإلهية تقتضي أن يعلم كل متعطل أن خير مال الإنسان ما اكتسبه بكد يمينه وعرق جبينه في مقابل ما يقدمه من عمل وخدمة مجتمعه، وأن شر مال الإنسان ما أصابه دون تعب من حرام أو وهو مستلق على ظهره »[1] والرسول ﷺ، دلنا على هذه الحكمة فقال: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان لا يأكل إلا من عمل يده»[2]، فقد كان النبي في شبابه يعرف الأولى والواجب عليه عمله، وهكذا المتعطل ينبغي أن يعمل ما يجب عليه عمله وخاصة إذا كان الاكتساب واجبًا لينفق على زوج وولد ووالدين.

الثالثة: أن النبي الخاتم ﷺ يعمل ويكتسب قبل النبوة وبعدها حتى نعرف أن الاكتساب سنة الأنبياء جميعًا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾ [الفرقان:٢٠]، ومن ذلك نعلم أن النبي ﷺ ليس بدعًا من الرسل وأن الاكتساب لا ينقص من منزلة الكرام شيئًا فلا يحتقرن متعطل عملًا ما من الأعمال.

وفى السيرة النبوية ما يبين للمتعطل مرحلة أخرى من حياة الرسول ﷺ، وهى المتاجرة في مال خديجة رضي الله عنها قال ابن إسحق:« كانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قومًا تجارًا، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم خلقه بعثت إليه

---

(١) «فقه السيرة النبوية» دكتور محمد سعيد البوطي ص٥٠ بتصرف.

(٢) الحديث أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ٢/ ٦.

فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسره فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها»[1].

فمن المفيد للمتعطل أن يقتدي برسول الله في حياة الكد والاكتساب وعدم الركون إلى القعود والتبطل، بل نوَّع ﷺ في المكاسب فاكتسب برعي الغنم على قراريط لأهل مكة، وتاجر في مال قريش مع عمه أبى طالب، وخرج في مال خديجة ليتاجر لها فيه وهذا ما يسمى بعقد المضاربة وقد أقر الله تعالى هذه المعاملة فأوحى إليه قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[المزمل:٢٠].

إن المسلم الحق يعلم أن الواجب عليه ألا يتثاقل إلى الأرض، وإنما يكتسب في مجال كسبه، فإن كان صالحًا فهذا خير وإلا فتنوع المكاسب في الإسلام خير ما يقتدي فيه برسول الله ﷺ حيث تاجر في المال، ورعى الغنم كما حث على جميع المكاسب الأخرى.

ب- ما بعد البعثة:

إن الرسول ﷺ قد توكل على الله – تعالى – فكفاه همَّ الرزق، كما اختصه ربه بفضيلة لم تكن لأحد من أمته فقال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى:٥-٨]. لقد وعد الله نبيه بالعطاء، ووعد الله حق وصدق لا يتخلف، فأخبر النبي ﷺ بهذا العطاء فقال رسول الله ﷺ في الحديث النبوي: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوِي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض»[2]، وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة، وقد وقعت كلها – بحمد الله – كما أخبر به النبي ﷺ، قال العلماء: «والمراد بالكنزين

---

(١) ابن هشام المعافري، السيرة النبوية، تحقيق دكتور أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي بدون،١/ ١١٤.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضها ببعض ١٨/ ١٣.

الذهب والفضة وهما كنزي كسرى وقيصر »[1]، ولقد أعطى الله تعالى نبيه الخاتم ﷺ ما جعله غنيا عن مسألة الناس فلا يسأل إلا الله، ولا يفتقر إلا إليه فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه:١٣١،١٣٢]. وزهرة الحياة الدنيا: زينتها بالنبات، وفى النص ما يدل على رضا النبي ﷺ بما قسم الله له من حظ في الدنيا، وأنه لم يتطلع لما في أيدي الناس، وفى ذلك تعليم للأمة وخاصة لذوى الفقر والمسكنة ألا يتطلعوا لما في أيدي الآخرين، وأن رزق الآخرة خير وأبقى من كنوز الدنيا.

ولما كان النبي ﷺ، في غنى عن الناس لم يحتج إلى أحد إلا الله، فلقد جعل الله خمس الغنائم والفيء للنبي، مع ما كان يكتسب به قوته ﷺ مما أفاء الله تعالى عليه من فضله، ولا شك أن الله قد تكفل لنبيه مئونة الرزق لئلا ينشغل بالاكتساب والشغل عن تبليغ رسالة ربه وقد أمره الله بها فقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

[المائدة:٦٧].

ومع تمام تبليغ النبي لدعوة ربه، فقد اكتسب وسعى في أرض الله ومشى في الأسواق وتاجر بيعًا وشراءً ورهنًا، ولما اعترض المشركون على ذلك لم يبال بقالتهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ [الفرقان:٧،٨] ولقد روي في الحديث أن «رسول الله ﷺ توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير »[2]، وفى هذا درس للمتعطل أن يكتسب ويعمل في الحياة مهما كانت الظروف، فهذا رسول الله قد هيأ الله له

---

(١) الإمام النووي، شرح صحيح مسلم، ط دار الريان، سنة ١٩٨٧ م ١٨/ ١٣.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الجهاد، باب ما قيل في درع النبي ٢/ ١٥٦.

كنوز الأرض ولكنه آثر الاكتساب والعمل ليعلم أمته أن الحياة الدنيا كبد ومشقة ومعاملة مع الناس، وصدق الشاعر حين قال:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابًا

كذلك يتعلم المتعطل من حياة رسول الله ﷺ بعد البعثة أنه مع ما وسع الله عليه وأحل له خمس الغنائم وأفاء عليه من أموال الفيء، إلا أن النبي آثر حياة الكفاف وقوت اليوم باليوم ولو طلب الدنيا لجاءته راغمة، وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا» [1]، والقوت:«قيل كفايتهم من غير إسراف، وهو بمعنى كفافًا وهو ما يسد الرَّمَق» [2].

إن النبي ﷺ لم يخشَ الفقر على أصحابه ﷺ الكرام، وإنما خاف عليهم الغنى، وبشر أمته بكثرة المال ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «فأبشروا وأمّلوا ما يسرُّكم فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنى أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم» [3].

فعلى المتعطل أن يتذكر هذه البشارة المحمدية التي أخبر بها أمته ويضعها نصب عينيه ؛ فإن الله سبحانه أوحى إلى نبيه الخاتم ذلك فأخبر أمته بها.

وفى الحديث النبوي أن النبي ﷺ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال: يا عدى: هل رأيت الحيرة ؟ قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال : لئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضه يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدًا

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم كتاب الزهد (١٨/ ١٠٥).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٠٥).

(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب بعد باب شهود الملائكة بدرًا ٣ / ١٣، ومسلم كتاب الزهد ١٨/ ٩٥.

يقبله منه»[1]، وهذا من علامات نبوة الرسول الخاتم، وهو دال على التبشير بالخير، فالمتعطل لا يصيبه اليأس وإنما يسعى دائما إلى البحث عن الاكتساب الذي يصيب به قواماً من العيش ويحيا به ومن يعول، وليكن ممتثلًا هذا الأمر النبوي الذي قال فيه الرسول ﷺ: «فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»[2]، ومن ذلك يعلم المتعطل أن سنة الاكتساب للمعاش من سنن المرسلين وسنة النبي الخاتم من سنن المرسلين لقول الله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [الإسراء:٧٧].

إن من نظر في سيرة النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها يجد أنها حياة عامرة بكل جد واجتهاد وإيمان، لا تكالبًا على الدنيا وطلب زخرفها وإنما إرشاداً لما ينبغي أن يكون عليه المرء من بذل للجهد، وضرب في مناكب الأرض.

المطلب الثاني: (أخلاق رسول الله ﷺ وعون أصحاب الأعذار):

لقد كره الرسول البطالة والكسل عن العمل، لذلك لم يرض لأمته أن تتصف بالبطالة فأقبل يعالجها ويعين المتعطلين، ولقد ظهرت معالجة الرسول للبطالة في عدة صور بعضها متطابق على أمر العلاج، وبعضها تضمن العلاج، وبعضها يلزم منها العلاج، فقد كان الرسول ﷺ، يمقت البطالة والكسالى والقاعدين عن أداء الواجب.

ومما ساعد النبي ﷺ على علاج البطالة، صفاته الأخلاقية وسيرته العطرة وسجاياه الفطرية، فإنه طبع على إعانة المحتاج، وإغاثة الملهوف، وإكساب المعدوم، وحمل الكل ولم يكن هذا بعد النبوة فقط بل كان أيضا قبلها، ففي حديث بدء الوحي ما يدل على هذه السجايا المؤهلة للرسول لجعله يسعى في علاج بطالة المتعطلين فيما روت السيدة عائشة ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة (٢/ ٢٧٧)، دكتور عبد المهدي عبد القادر، أحاديث معجزات الرسول التي ظهرت في زماننا، مكتبة الإيمان، الأولى سنة ٢٠٠١، ص٥٣.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ونقله المنذري في الترغيب ٣/ ٧، وأخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ٣، ومعنى الإجمال في الطلب : أي اطلبوه بتؤدة واعتدال وبعد عن الإفراط فإذا طلبوا الرزق كما أمروا كان طلبهم مقبولاً.

أن رسول الله ﷺ قال: «لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق» [1]؛ فالسيدة خديجة ﷺقد أقسمت على أن الله لا يخزي زوجها محمدًا ﷺ أبدًا ولو انتهت إلى الحلف فقط لقلنا: امرأة تطمئن زوجها، ولكنها أخذت تستدل على صدق هذا القسم، وبرّها في يمينها فعددت خصاله ﷺ، فإذا بجميع الخصال تقتضى المصلحة والمعونة لأصحاب الضعف أو القلة أو العالة أو المذلة من الناس ولم يتعلق أي وصف منها بها، وهى كما قال العلامة ابن حجر:« وصفته بأصول مكارم الأخلاق، لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب، وإما بالبدن أو بالمال، وإما على من يستقل بأمره أو من لا يستقل وذلك كله مجموع فيما وصفته به » [2]، ويتضح من كلام السيدة خديجة عدة صفات للنبي تظهر تمام رحمته في معاونته أصحاب الأعذار والحاجات.

عون النبي ﷺ للكلّ والمعدوم:

أما وصفها للنبي ﷺفي قولها بأنه «تحمل الكَلَّ» فالكَلُّ: «هو من لا يستقل بأمره كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ [النحل:٧٦]. والمعنى: أنه ثقل على وليه وقرابته، وبَالٌ على صاحبه، وقد يسمى اليتيم كلًّا لثقله على من يكفله، والكَلُّ من لا ولد له ولا والد» [3]، وحمله الكَلَّ أي يحمل هذا الثقيل على الناس فيعينه، وهذا الكَلُّ هو المتعطل توسعًا.

وقولها «وتكسب المعدوم» « بفتح أوله والمعنى: تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك ويقال كسبت الرجل مالًا وأكسبته بمعنى، وقيل: معناه تكسب المال المعدوم وتصيب منه ما لا يصيب غيرك، وكانت العرب تتمادح بكسب المال، لاسيما قريش، وكان النبي ﷺقبل البعثة تاجرًا والوجه الأول أولى » [4].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول، (١/ ٧).

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الريان، الأولى ١٩٨٦، (١/ ٣٣).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق دكتور محمد إبراهيم ٥/ ٤٩٨

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ١/ ٣٤.

علاج مشكلة البطالة لكونها إحدى نوائب الحق:

أما وصفها للنبي ﷺ بأنه «يعين على نوائب الحق»:« فالنوائب جمع نائبة: وهى النازلة وهى كلمة جامعة لأفراد ما تقدم ولما لم يتقدم؛ فيعين على كل ما يقع فيه الضعفاء والفقراء من مصائب ونوازل، والمتعطلون جبرًا اضطراريًّا من الذين أصابتهم نوائب الحق فابتلاهم الله سبحانه بقلة العمل، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[البقرة:٥٥]. فالمتعطل يخاف من فقد حاجاته في المستقبل، وهو جائع، مُنتَقَص المال والأنفس والثمرات.

وقد عاون النبي ﷺ هؤلاء فأباح لهم المسألة وهم من الفئات الثلاث الذين ذكرهم النبي فقال:«إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاث: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش – أو قال سدادًا من عيش – ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه لقد أصابت فلانًا فاقة فحلت له المسألة»[1]، وهذه الفئات الثلاث من تحمل حمالة، ومن أصابته جائحة، ومن أصابته فاقة، فقد أصابت البعض بطالة، فيقاس عليها حالة المتعطل الذي يريد العمل ويبحث عنه وهو قادر مكتسب فقد اضطر إلى البطالة فيجب أن توفر له فرصة العمل التي يكتسب منها قوته أو يعان من قبل المجتمع على سبيل التكافل الذي شرعه الإسلام الحنيف على المسلمين.

ولا يخفى أنه تقاس[2]، حالة البطالة الاضطرارية «الإجبارية» على حالة هؤلاء الفئات الثلاثة بجامع الاحتياج بسبب أمر طارئ من الخارج عن الشخص نفسه.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة، ٧/ ١٣٣، من حديث قبيصة بن مخارق الهلالي.

(٢) القياس: هو إبانة مثل حكم المذكورين بمثل علته في الآخر، وهو أحد أدلة التشريع الإسلامي، التعريفات للجرجاني، ص٢٣٢.

إن الرسول ﷺ عالج البطالة الإجبارية من خلال تشغيل العاطلين وتوفير فرص العمل لهم، ودلالتهم على أصول المكاسب من زراعة وصناعة حرفية وتجارة، بيد أن ذلك التشغيل لن يتحقق إلا بعد ما يتوافر في المتعطل الإرادة للكسب، والفكر الدافع إلى الاكتساب.

المطلب الثالث: (الوسائل النبوية في تغيير فكر المتعطلين):

اتخذ الرسول ﷺ وسائل عدة لتغيير فكر المتعطلين ومن هذه الوسائل:

١ - بيان أن العمل هو الأصل في كسب المال:

إن الرسول ﷺ قد وجه المسلمين إلى ما يهديهم ويحفظهم من عاقبة البطالة وسوء حالها، فقد حث على العمل والاكتساب واعتبر العمل هو الطريق الطبيعي لاكتساب المال والرزق، وأن على المسلم أن في الأرض والسعي في مناكبها وابتغاء فضل الله، ومعرفة المتعطل الطريق الواجب المفروض عليه أن يسلكه من العمل على بذل الجهد؛ ففي الحديث النبوي، قال رسول الله ﷺ: «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خيرًا من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه» [(١)]، فعلى مثل هذه المفاهيم الصحيحة والمقاصد السليمة قامت الحضارة الإسلامية.

إن المتعطل باختياره قد يظن أنه تباح له المسألة، فوجهه النبي ﷺ إلى أن الأصل في كسب المال هو العمل، حتى ولو كان بجهد ومشقة كالاحتطاب الذي هو من أشق الأعمال قديمًا وحديثًا، كما بين أن الأصل في سؤال الناس هو الحرمة، فلا يحل للمسلم أن يلجأ للسؤال إلا لحاجة تقهره «الضرورة» فقد قال رسول الله ﷺ: «المسألة كدٌّ يُكَدّ بها الرجل وجهه إلا أن يسأل الرجل سلطانًا أو في أمر لا بد منه» [(٢)]؛ فالمسألة لغير ضرورة حرام، وهذا هو المنطق الإسلامي الذي شهدت به آيات الذكر الحكيم وأفاض في بيانه رسول الله ﷺ.

---

(١) الحديث متفق عليه أورده الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ص١٨٨، رقم ٦١٨، ط دار الحديث ٢٠٠٥.

(٢) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الزكاة، باب مسألة الرجل في أمر لابد منه، ٥/ ١٠٠.

إن الله ﷻ وصف فقراء المهاجرين قال الله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾[البقرة:٢٧٣]. وبذلك يتبين لنا أن الرسول ﷺ علّم أصحابه مبدأين جليلين أفادا في علاج البطالة وما يزال المسلمون يهتدون بهدي الرسول حتى يهديهم الله، وقد أوضح الدكتور يوسف القرضاوي كلا المبدأين في:« المبدأ الأول أن العمل هو أساس الكسب، المبدأ الثاني: أن الأصل في سؤال الناس هو الحرمة »[1].

وبذلك يمكن القول بأن البطالة الإجبارية قد عالجها الرسول الأكرم ﷺ حيث إن العمل حق الفرد على الدولة أما البطالة الاختيارية فقد هيأ النبي ﷺ لأصحابها ما يندمجون به مع المجتمع فيفيدون ويستفيدون.

٢-التنبيه إلى أوصاف في الفرد تنافي البطالة:

إن الرسول ﷺ قد وجه المتعطل إلى تنمية قدراته ومهاراته، وذلك من خلال وصفه بما يستلزم الاكتساب، وعدم التثاقل إلى الأرض والرضا بالبطالة، وفي وصف المتعطل إغراء بما لديه من قدرات وإمكانات ينبغي أن يستغلها، وتذكير له أيضا بنعم الله عليه في القوى، وتسوية الخلق، والقدرة على الكسب، ففي الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: «لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوى»[2]؛ فإن الرسول نهى القوى سليم الأعضاء عن أن يأخذ من مال الصدقات، ذلك لأن على كل مسلم صدقة فالمتعطل إذا كان قويًّا سوي الخلقة قادرًا على العمل، فهو ليس ممن يستحق الصدقة، بل ليس من أصحاب الأعذار إلا إذا بحث عن عمل فلم يجده، فيجب عليه مزاولة حرفة يكتسب منها قوته، وكذلك لو كان المتعطل

---

(١) «فقه الزكاة »دكتور يوسف القرضاوي ٢/ ٩٤٦مكتبة وهبة القاهرة.

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة ٢/ ١٢١، رقم ١٦٣٤ والمِرَّة: القوة، والسَّويُّ : سليم الأعضاء، عون المعبود شرح سنن أبي داود (٥/ ٤٥).

صاحب غنى فلديه المال فلا يحل له أن يأخذ من الصدقة، بل يجب عليه أن يستثمر ماله، وينمى قدراته ومهاراته، ويستغل النعم التي أفاء الله تعالى عليه من نعم بدنية أو خلقية أو مادية وغير ذلك.

وفى موطن آخر يبين النبي ﷺ لشابين جلدين الطريق الصحيح الواجب اتباعه فروي أن رجلين أتيا النبي ﷺ في حجة الوداع وهو يقسِّم الصدقة، فسألاه منها؛ فرفع فيهما البصر وخفضه فرآهما جلدين فقال: «إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوى مكتسب» [1]، وفي هذه الرواية وصف الاكتساب مضاف للقوة والغنى لمزيد توضيح للمتعطل، وكأن النبي ﷺ قال: لا صدقة تكون لشخص وضع مع الغنى والقوة والاكتساب؛ فلا مسألة مع وصف صحيح من هذه الأوصاف الثلاثة، وكأن الفقر والضعف والتعطل هي الأوصاف التي تستلزم التصدق والمعاونة.

إن هذا هو التطبيق العملي لما قاله النبي ﷺ من عدم حل الصدقة للغني ولا للقوي، ولا المكتسب، في دور علاجه للبطالة، وهو توجيه من النبي ﷺ لكل قادر لما يجب عليه من الاكتساب عند تهيئة فرص الكسب الملائم لمثله عرفًا، فإن بحَث القادر عن العمل ولم يجده، وكان من أهل الضرورة، فيجب على المجتمع أن يعينه حتى يوفر له العمل المناسب.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي:« من كان عاجزًا عن الكسب لضعف ذاتي كالصغر أو الشيخوخة أو الإعاقة أو لمرض أقعده عن الكسب، أو من كان قادرًا على الكسب ولم يجد بابًا حلالًا يليق به، أو وجد ولكنه لا يكفيه وعائلته، أو يكفيه بعض الكفاية فقد حلت له الزكاة والمسألة » [2]، إن المجتمع إذا نظر لمشكلة البطالة وأفراد المتعطلين من هذه الناحية التي نظرها رسول الله ﷺ لخرجت الأمة من تأزمها، ولوجد الشباب المتعطل ما يعمله.

---

(١) أخرجه النسائي كتاب الشركاء، باب مسألة القوى المكتسب ٥/ ٩٩ أبو داود ٢/ ١٢١، واللفظ له.

(٢) «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام» دكتور يوسف القرضاوي ص ٩٠.

٣-النبي ﷺ يسمو بأهداف المسلم:

إن رسول الله ﷺ قد سما بأهداف المرء فجعل الخير الذي يسعى إليه المسلم هدفًا للمرء لمنفعة نفسه والآخرين، ففي الأثر أن رسول الله قال: «المؤمن منفعة إن ماشيته نفعك، وإن شاورته نفعك، وإن شاركته نفعك، وكل شيء من أمره منفعة» [١]، فإذا كانت المنفعة للناس هي إحدى أهداف المرء في الإسلام فلا عجب أن يشير القرآن الكريم إليها سُمُوًّا بالهدف قال تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[القصص:٢٤]. فكان فعل الخير والمنفعة هما هدفا موسى وإن احتاج إلى أجر ما قدم.

الرسول الخاتم ﷺ قد سما بأهداف أصحابه؛ فكان الواحد منهم يبتغى الآخرة في أعمال الدنيا، ويؤثر أخاه على نفسه، ويكتسب ليتصدق على الفقراء، ويذلل الواحد منهم أمواله لخدمة دينه ومجتمعه؛ فكان كل ذلك من دواعي الاكتساب وترك البطالة والقعود.

ومن المناسب بيان العلاقة بين سمو هدف المتعطل وبين الاكتساب والعمل؛ فأقول: إن المتعطل إذا سما بهدفه وغير من فكره المادي المحض من خلال، أن يهدف – على سبيل المثال لا الحصر – للتصدق بما معه من مال فإن لم يجد ما يتصدق فإنه يكتسب ليتصدق فوصف أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه ذلك الحال فقال: «إن الواحد من الصحابة كان يعي أمر النبي ﷺ بالصدقة فيتحامل في السوق فيصيب المد، وإن للواحد منهم اليوم لمائة ألف» [٢]، فكان سمو النبي ﷺ بهدف أصحابه من خلال الأمر بالصدقة، سببًا من أسباب الغنى

---

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير٢/ ١٨٥ وعزاه إلى أبى نعيم في الحلية، وضعفه.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، ١ / ٢٤٦، من حديث أبى مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

واليسار، وعلى ذلك يقاس كسب المكتسب للزواج تعففًا، ولعون المحتاج والنفقة على الأهل؛ فكلما كان الهدف نبيلًا وشريفًا كلما كان الجد في البحث عن الكسب الحلال.

فهذا السمو بهدف المكتسب دافع إلى الجد في البحث عن العمل، كما أن السمو بهدف العامل دافع على عون أخيه الفقير المكتسب حتى يكفيه حاجته، وهذا السمو بخلق المتعطل يجعله أبيّ النفس عزيزًا يبتغي الكسب ويبذل الجهد وبذلك يحقق ذاته، ويترك التعطل فإن التعطل خلق ذميم تأباه نفس المسلم أن توصف به.

٤-النبي ﷺ يسمو بأخلاق المكتسب:

وهذا السمو بأخلاق المكتسب أحد ركائز السمو بفكر المسلم بدلًا من كراهية المجتمع في حالة بطالته بالاغتراب الاجتماعي «الأنومي»، أو كراهيته للواقع دون أن يسعى في حل مشكلته.

وهذا ما غرسه رسول الله ﷺ في قلوب أصحابه، لذلك وجدنا الإيثار بين سعد ابن الربيع رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قد أثمر وأينع؛ فإن نبل أخلاق سعد بن الربيع قد أدى إلى عمل عبد الرحمن بن عوف حيث أخذ يسأل عن سوق فيه تجارة فدلوه عليه فغدا إليه فأتى بأقِطٍ وسمن ثم تابع الغدو فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر الصفرة فقال رسول الله ﷺ تزوجت؟ قال: نعم [1]، فإذا تخلق المرء بالأخلاق الفاضلة كان ذلك سموًّا لما هو أفضل لدنياه.

المطلب الرابع: (الرسول ﷺ وتشغيل المتعطل):

لقد عالج النبي ﷺ البطالة؛ فالقادر على الكسب مع رغبته في العمل وعدم وجدانه الكسب، وذلك في صورة رائعة دالة على أن النبي الكريم ﷺ كان لأمته بمنزلة الوالد لأبنائه وصدق الله إذ يقول: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب البيوع ٢/ ٣، فتح الباري، لابن حجر ٤/ ٣٣٩.

فالعنت هو المشقة أي:« يعز عليه مشقتكم »[1]، ولا شك أن البطالة أحد مظاهر هذا العنت بالناس، لذلك كان حرص النبي ﷺ على أمته أن سعى إلى تشغيل من جاءه يسأله العطاء والقوت ففي الحديث الشريف: «أن رجلًا من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله فقال النبي: أما في بيتك شيء؟ قال: بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقَعب نشرب فيه الماء[2] ، قال: «ائتني بهما»؛ فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ وقال: «من يشترى هذين؟» قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: «من يزيد على درهم؟» مرتين أو ثلاثًا، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين، وأعطاهما الأنصاري، وقال: «اشتر بأحدهما طعاما فأطعمه إلى أهلك، واشتر بالأخرى قدومًا فائتني به»، فأتاه به، فشد فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده ثم قال له: «اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يومًا» فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع»[3].

دلالات الحديث:

في ضوء من هدي هذا الحديث الشريف خطوات سبّاقة، سبق بها رسول الله ﷺ كل النظم التي لم تعرفها الإنسانية إلا بعد قرون طويلة من ظهور رسول الإسلام؛ فلقد أخذ بيد المتعطل في حل بطالته بنفسه، وعالجها بطريقة ناجحة، فعلَّم النبي ﷺ المتعطل أن يستخدم كل ما عنده من قدرات وطاقات، مهما قلت أو صغرت، وأن يستنفد ما يملك من حيل، مهما ضؤلت؛ فلا يلجأ للمسألة وعنده شيء يستطيع أن ينتفع به في تيسير كسب يغنيه.

وبين العلماء أن:« علم النبي ﷺ المتعطل أن كل كسب يجلب الرزق الحلال فهو شريف، ولو كان شاقًّا كالاحتطاب، وناسب النبي بين العمل والعامل، فأرشد المتعطل إلى

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» الإمام القرطبي ٤/ ٦١١.

(٢) الحِلْسُ: كساء غليظ، والقَعْب: قدح من خشب وإناء يشرب فيه، والفقر المدقع: أي الشديد، والدم الموجع أي المؤلم،«عون المعبود شرح سنن أبى داود» (٥/ ٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة، ٢/ ١٢٣ رقم ١٦٤١ والمنذري، الترغيب والترهيب (٢/ ١٢).

العمل الذي يناسب شخصيته وقدرته وبيئته، ثم هيأ له آلة العمل حتى لا يدعه حيران، وبعد هذا الحل العملي لمشكلة البطالة لقن النبي ﷺ المتعطل هذا الدرس النظري الموجز في الزجر عن المسألة والترهيب منها، والحالات التي تجوز المسألة فيها من الفقر المدقع أو الغرم المفظع أو الدم الموجع »[1]، ولا ننسى الفترة المناسبة لمعرفة نجاح الفرد في عمله له أو لا يزال في حاجة لعون مجتمعه.

إن نظرة عامة في معالجة الرسول للبطالة ندرك بها الحكمة العالية، والعصمة النبوية في وضع الحلول المناسبة للمشكلة من جميع نواحيها النفسية والمادية والأسرية، حتى ما أطلق عليه من «الأسبوع المرجعي» إذا رسول الله أعطى السائل المتعطل عن العمل خمسة عشر يومًا على سبيل التجربة لما قدم إليه من عمل ناسبه في بيئته.

وكان اهتمام النبي ﷺ بتأهيل المتعطل نفسيًّا وماديًّا للعمل، أما التأهيل النفسي، فحيث أمره بتزويد الأهل بالطعام كي يفرغ من التفكير في شأنهم لبعض الوقت، أما التأهيل المادي فحيث زود المتعطل بآلة العمل بعد ما شد فيها عودا بيده الكريمة ثم أمره بالاحتطاب وأعطاه فرصة أيام تكفي ليظهر بعدها نتيجة تدبيره له؛ فإن كان موفقًا فهو المطلوب، وإلا ينظر له حلًّا آخر.

إن الرسول ﷺ قد دل المتعطلين على المكاسب التي يعملون فيها لإنهاء بطالتهم من الزراعة والصناعة والتجارة فإن لم يتوفر في بلد المتعطل العمل الذي يكتسبه يسافر إلى بلد أخرى طلبًا للرزق الحلال، وقد دلنا النبي ﷺ إلى ذلك السبيل فقال ﷺ: «سافروا تصحوا واغزوا تستغنوا»[2].

---

(١) «مشكلة الفقر» دكتور يوسف القرضاوي ص٥١ وبعدها، «كيف عالج الإسلام البطالة » الدكتور زيد بن محمد الرماني ص٥١، «العمل والعمال في الفكر الإسلام» دكتور إبراهيم النعمة ص ٨٧.

(٢) الحديث أخرجه الإمام السيوطي من حديث أحمد في مسنده وحسنه، الجامع الصغير ٢/ ٣٠.

المبحث الثالث

موقف الخلفاء الراشدين من البطالة

تمهيد:

الخلفاء الراشدون ﷺ هم الذين أمرنا رسول الله ﷺ بالاقتداء بهم «أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وعلى أبو السبطين ﷺ» لهم مناقب جمة، وفضائل كثيرة قد عدَّدها رسول الله لنا لنعرف لهم فضلهم ونقتدي بهم من بعده ﷺ، ونرى كيف واجهوا الأزمات في عهدهم المبارك؟ فقد قال رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[1]، قال ابن رجب الحنبلي:« في أمر النبي ﷺ باتباع سنته وسنة خلفائه الراشدين دليل على أن سنة الخلفاء الراشدين متبعة كاتباع السنة »[2].

وأصحاب الرسول ﷺ لم يكن واحد فيهم يؤثر البطالة أو التعطل على التكسب والسعي، إنما أجمعوا على أن الاكتساب هو الطريق الطبيعي الذي ينال المرء به قوته، فكان منهم الذي يحرث الأرض، ومنهم صاحب المهنة التي يحترفها ويكتسب منها، ومنهم التاجر بجهده وماله أو بماله فقط أو بجهده فقط، ولا غرابة أن يكون الخلفاء الراشدون ممن أجمع على ضرورة الكسب، يقول الله في وصف أصحاب النبي ﷺ : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[الحشر:٨،٩]. فالخروج من الأموال يدل على أنهم كانت لهم حِرَف والأعمال قبل الهجرة .

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة ٤/ ٢٠٠، رقم ٤٦٠٧، وأخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ١/ ١٥ رقم ٤٢.

(٢) «جامع العلوم والحكم » ابن رجب الحنبلي ص٣٢٠.

فأصحاب النبي ﷺ كانوا أصحاب أعمال، وساعدهم الخلفاء على ذلك بتهيئة ما يكتسبونه من الزراعة، والصناعة، والتجارة ولما فتحت البلدان توسعوا في الأعمال بقدر ما اتسع لهم المورد وسوف نتناول الخلفاء الأربعة وموقفهم من البطالة كل واحد منهم على حدة لتتم معرفة طرق التوسع في الأعمال بعدما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وكذا معرفة موقف الإسلام من بطالة غير المسلمين .

المطلب الأول: (موقف الصديق رضي الله عنه من البطالة):

إن أول خليفة راشد تولى خلافة المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ هو الصديق أبو بكر، ثاني اثنين إذ هما في الغار، الذي صدَّق النبيَّ في خبره دون أن تكون له فكرة فكان خير قدوة بعد رسول الله، ويتضح موقفه من البطالة فيما يلي:

١ - صفات أبي بكر الصديق:

لقد تهيأ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه من السجايا الفطرية ما ساعدته على معاونة أهل البطالة والفقر والعون، ففي حديث الهجرة إلى المدينة المنورة - وهو حديث طويل - أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة، حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق»[1].

لقد سبقت أوصاف مماثلة لتلك أثبتتها السيدة خديجة لرسول الله ﷺ «وفي موافقة وصف ابن الدغنة لأبي بكر بمثل ما وصفت به خديجة النبي ﷺ، ما يدل على عظيم فضل

---

(١) أخرجه البخاري باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٢/ ٣٣١).

أبى بكر واتصافه بالصفات البالغة في أنواع الكمال التي تنم عن مروءة الطبع، ونجدة الخصال وهكذا كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[1]، وهذا الوصف لأبى بكر على لسان ابن الدغنة أبلغ في الرفض لداء التعطل.

٢ - كسب الصديق قبل الخلافة وبعدها:

إن الصديق أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يعين أصحاب الضعف والفقر والرق؛ فيحمل الكَلَّ، ويكسب المعدوم، وكان هو في شخصه صاحب احتراف في العمل التجاري؛ فالسيدة عائشة رضي الله عنها تقول: «لما استخلف أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مئونة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبى بكر من هذا المال وأحترف للمسلمين فيه»[2]، ويقول ابن حجر في بيان معنى احترافه للمسلمين: «نظره في أمورهم وتمييز مكاسبهم وأرزاقهم، وقيل: بالسعي في مصالحهم ونظم أموالهم، وقيل: يتاجر لهم في أموالهم حتى يعود عليهم ربحه بقدر ما يأكل أو أكثر»[3].

إن سجايا أبى بكر لم تخالف طبيعته الظاهرة، فكان صاحب النفسية المؤهلة لعون الآخرين وبالفعل احترف للمسلمين في أموالهم ووزعه عليهم بالمساواة والعدل، وفى قول الصديق «علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مئونة أهلي» دلالة على أنه كان يحترف بالتجارة لمئونة أهله، وتذكيرًا بشأن الرسول ﷺ في العمل، واقتداء به، عسى أن يقتدي المتعطل بالنبي ﷺ في سعيه، وبالصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في احتراف المهنة التي بها يشبع حاجاته ومن يعول، ومما يؤكد هذا ما ورد عن الصديق «أنه لما بويع بالخلافة أصبح وعلى ساعده أبراد[4]، وهو ذاهب إلى السوق، فقال عمر: أين تريد؟ قال: إلى السوق، قال: تصنع ماذا؟ وقد وليت

---

(١) «فتح الباري» ابن حجر العسقلاني٧/ ٢٧٤.

(٢) أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، (٢/ ٦).

(٣) «فتح الباري» ابن حجر٤/ ٣٥٧، «تاريخ الخلفاء» السيوطي ص٦٣، «صحيح التوثيق في سيرة الصديق» الأستاذ مجدي فتحي ص١٦١.

(٤) الأبراد: جمع بُرْد وهو كساء صغير مربع ويقال كساء أسود صغير، المصباح المنير، ص٣١.

أمر المسلمين، قال: فمن أين أطعم عيالي؟ فقال: انطلق يفرض لك أبو عبيدة فانطلقا إلى أبى عبيدة، فقال: أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم، وكسوة الشتاء والصيف، إذا أخلقت شيئا رددت وأخذت غيره» [1]، فهذا هو تمام السعي في مصلحة من يعول.

هذه شخصية الصديق الذي دعا النبي ﷺ الأمة لتقتدي بها، وخاصة أهل البطالة، فلم يدع الاكتساب قبل أن يصير خليفة لرسول الله، ولما بويع بالخلافة أراد أن يجمع بين الخلافة والاكتساب وكان من العسير الجمع بينهما، فعفي من الاكتساب وفرض له من بيت المال ما يطعم عياله، ولكن السؤال: هل ترك الصديقُ كلَّ أعماله التي كان يحترفها قبل استخلافه؟

للجواب على هذا السؤال تظهره كتب السيرة العطرة؛ فإذا فيها «أن أبا بكر الصديق كان يحلب غنم جواري الحي ويفصل ابن عمر رضي الله عنهما ذلك فيقول: «كان يحلب للحي أغنامهم فلما بويع بالخلافة، قالت جارية من الحي: الآن لا يحلب لنا منائحنا، فسمعها أبو بكر فقال: بلى لعمري لأحلبنها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لهم، فربما قال للجارية: أتحبين أن أرغي «أي أجعل للبن زبدًا»، أو أن أصرِّح [2]، «أي أجعله بدون زبد»، فربما قالت: أرغ، وربما قالت صرِّح فأي ذلك قالت فعل» [3]؛ ففي هذا الأثر ما يدل على أن الصديق رضي الله عنه لم يدع جميع الأعمال التي كان يمتهنها قبل الخلافة، لأن مزاولة الحرفة التي اعتادها الإنسان هي الشيء المعتاد ولا ينقص من قدر الأشراف شيئًا، وهذا درس للمتعطل الذي يشترط في العمل أن يكون لائقا به حسبًا ونسبًا وكأنه طالب نكاح لا عمل حتى يشترط فيه المناسبة والوجاهة الاجتماعية، وإن كان هذا الشرط له وجاهة إذا توافرت العديد من فرص العمل والمتعطل يختار منها، ما يناسبه ويعلم أن هذا الخلق

---

(١) الإمام السيوطي، تاريخ الخلفاء، ط دار الفجر، القاهرة ٢٠٠٤، ص٦٣.

(٢) المنائح: جمع منيحة وهى الشاة تمنح لحلابها، لعمري، قسَم تعارف عليه الناس، المصباح المنير ص ٣٤٥.

(٣) الأثر ورد في الطبقات لابن سعد، وتهذيب تاريخ ابن عساكر، وقد أورده السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ٤٦ عن أنسة رضي الله عنه، عند ابن عساكر أيضا – وأنسة مولى للنبي ﷺ ويكنى بأبي مسروح مات في خلافة أبي بكر، الإصابة في تميز الصحابة، ابن حجر ١/ ١٢٢، دكتور على الرفاعي نعمة الله، أضواء على تاريخ الخلفاء، ط دار الهدى، سنة ١٩٨٦، ص٧٩.

«التواضع» تخلق به الصديق رضي الله عنه من الأخلاق التي ينبغي للمتعطل أن يتصف بها ولا يتأبى على أي عمل ما دام شريفًا مشروعًا.

٢-أبو بكر الصديق وعون المتعطلين:

في عهد الخليفة الراشد أبى بكر رضي الله عنه، كانت السمة التي يتسم بها هي التسامح، ومعونة أهل الفقر والبطالة حتى ولو كان من غير المسلمين وهذا ما قام عليه الإسلام قولًا وعملًا، لذلك لم يعترض الصديق أو أحد من الصحابة الكرام على كتاب خالد بن الوليد رضي الله عنه لأهل الحيرة حينما صالحوه على الجزية وجاء في هذا الكتاب قوله: «إني نظرت في عدتهم فوجدت عدتهم سبعة آلاف رجل، ثم ميزتهم فوجدت من كانت به زمانة ألف رجل فأخرجتهم من العدة، وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله، وأيُّما عبد من عبيدهم «يقصد أهل الحيرة» أسلم أقيم في أسواق المسلمين فبيع بأعلى ما يقدر عليه في غير الوكس[1]، ولا تعجيل ودفع ثمنه إلى صاحبه»[2]، إن سيدنا خالد ابن الوليد رضي الله عنه صالح أهل الحيرة على ذلك، – وهم من أهل الكتاب – وهم أيضًا الذين بشر النبي ﷺ عدى بن حاتم رضي الله عنه بفتحها وقد تحققت تلك البشارة في عهد أبى بكر الصديق، وكثر المال[3]، فوقف خالد رضي الله عنه موقف التطبيق العملي لشريعة الإسلام في علاقته بأهل الكتاب.

إن المتأمل في هذا الصلح يجد أنه قد فاق العديد من المعاهدات، فقد انتصف من نفسه بإخراج حقوق أهل الحيرة على لسانه وهى تتلخص فيما يلي:

---

(١) الزَّمَانة: أي حالة من المرض المزمن الدائم، بيت المال: هو المكان الذي يجمع فيه أموال الدولة الإسلامية (وزارة المالية)، الوكس: نقص أو خسارة، المصباح المنير للفيومي ص٣٩٨.

(٢) «الخراج» أبو يوسف القاضي ص١٤٤.

(٣) أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة ٢/ ٢٧٧، وقد سبق نص الحديث، «معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام» دكتور إبراهيم سليمان ص٧٠.

- أهل العلل، والأمراض المزمنة، وأصحاب الشيخوخة، وأصحاب الحالات الطارئة كمن كان غنيًّا فافتقر كل هؤلاء رفع عنهم الجزية.

- وهؤلاء جميعًا ونفقة عيالهم من بيت مال المسلمين.

- كما حافظ على أموالهم وأعراضهم في صورة رفع الوَكْس وعدم التعجل في التصرف في أموالهم، بصورة فيها ضرر.

وهؤلاء الذين رفع عنهم خالد رضي الله عنه، الجزية هم أصحاب بطالة من رعايا دولة الإسلام حتى ولو لم يكونوا من المسلمين، لكنهم لا يقدرون على الكسب فوجب النظر فيما يصلحهم، أما القادرون على الكسب وليسوا من أصحاب الأعذار السابقة فهم مطالبون بالجزية؛ لأنهم أصحاب أعمال، ومكاسب، فمنهم التجار والحرفيون، ولو لم يكونوا مكتسبين لرفع عنهم الجزية كبقية أصحاب الأعذار والآفات ولسعى في تشغيلهم كما فعل رسول الله ﷺ، بأهل خيبر لما أقرهم في الأرض كما ورد في الحديث الشريف «أن رسول الله ﷺ دفع إلى يهود خيبر نخل خيبر وأرضها على أن يعتملوها من أموالهم ولرسول الله ﷺ شطر تمرها» [1].

فهذا الصلح الذي عقده خالد رضي الله عنه يعتبر من التدابير الواقية لعلاج البطالة، ولذا لم يرد ذلك الصلح على خالد أبو بكر ولا رده عمر بعد أبى بكر ولا عثمان ولا على رضي الله عنهم، قال أبو يوسف:« ولست أرى أن يهدم شيء مما جرى عليه الصلح، ولا يحول وأن يمضى الأمر فيها على ما أمضاه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم فإنهم لم يهدموا شيئا مما كان الصلح جرى عليه خاصة إذا علم أن خالد لم يتعرض للفلاحين بشيء، بل أقر من لم ينهض منهم للحرب وجعل لهم الذمة» [2]، فوقع ذلك عهد خالد رضي الله عنه مع أهل الحيرة موقع الاتفاق بين الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب المساقاة والمزارعة، ١٠/ ٢١٢.

(٢) "الخراج" القاضي أبو يوسف ص١٤٧ سابق، «الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية» دكتور محمد ضياء الدين الريس ص١٠٣.

ويعتبر هذا اجتهاد من خالد بن الوليد ﷺ قد توصل إليه بناءً على المصلحة العامة، وأن الخلفاء الراشدين والصحابة قد أجمعوا على ذلك الصلح فلم يعلم له مخالف فكان إجماعًا كما يقول أهل الأصول [1].

وإذا كان هذا الحال مع غير المسلمين إذا تعطلوا عن العمل، فإن الحال لا يختلف عن ذلك مع المسلمين إذا تعطلوا فالاكتساب سنة الله ﷻ التي أُمر المسلمون بها وسار عليها الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان مما أعانه على ذلك:

- إنشاء بيت مال المسلمين.
- الحفاظ على موارد الدولة من خلال حرب ما نعى الزكاة[2].
- التسوية بين الصحابة في العطاء [3].

فإذا كان الصديق رضي الله عنه، قد مثلت هذه الأعمال وسائل إصلاح لمالية الدولة الإسلامية في نشأتها، فلاشك في أنها كانت ذات آثار إيجابية على رعايا الدولة الإسلامية، وقامت الدولة بمسئوليتها خير قيام وشهد بذلك العدو القالي، قبل الحبيب.

المطلب الثاني: (موقف الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ من البطالة):

عمر بن الخطاب ﷺ، الملقب بالفاروق، الذي دخل في الإسلام بدعوة رسول الله ﷺ ثاني الخلفاء الراشدين، وفى الحديث قال رسول الله: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»[4]؛ فقد نزل الوحي وفق ما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فلم يزده ذلك إلا ثباتًا وإيمانًا

---

(١) «الرسالة» الإمام الشافعي، ص٤٧١، «إرشاد الفحول» للشوكاني ص٦٠٩، «أصول الفقه» محمد الخضري ص٣٢٣.

(٢) «البداية والنهاية» ابن كثير٦/ ٣١٥، المجلد الثالث.

(٣) «الخراج» أبو يوسف ص٤٢. «سماحة الإسلام» دكتور محمد أحمد الحوفي ص١٩٩.

(٤) الحديث أخرجه السيوطي في الجامع الصغير عن أحمد والترمذي من رواية ابن عمر، وعن أحمد وأبى داود، و الحاكم من رواية أبى ذر وعن يعلى والحاكم من رواية أبى هريرة وعن الطبراني من رواية بلال ومعاوية، وصححه (١/ ٦٩).

راسخًا [1]، وكان عمر رضي الله عنه ممن اتجر على عهد رسول الله كشأن أبي بكر الصديق وأصحاب رسول الله أجمعين ﷺ، وقد ظهر موقفه رضي الله عنه من البطالة في النقاط التالية:

١ - كسب الفاروق قبل الخلافة:

لقد اكتسب الفاروق قوته وحاجة أهله من كده وسعيه واحترافه في البيع والشراء، فتحدث عن شأنه في السعي على عهد الرسول ﷺ وفي حياته، فقال: «أخفى على هذا من أمر رسول الله ﷺ؟ ألهاني الصفق [2]، بالأسواق»[3]، يعنى الخروج إلى التجارة والإشارة فيه تعود على آداب الاستئذان الذي عرفه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، في حين لم يتعرف عليها عمر رضي الله عنه، وأطلق عمر على الاشتغال بالتجارة لهوًا؛ لأنها ألهته عن طول ملازمته للنبي ﷺ، حتى سمع غيره منه ما لم يسمعه وهى أمر نسبي، وكان احتياج عمر رضي الله عنه للخروج إلى السوق من أجل الكسب لعياله والتعفف عن الناس [4]، فشأنه في حياة الرسول العمل والسعي وهذه السمة لم يتخلف عنها البشر السوي فضلًا عن هذا الراشد القدوة، سديد الرأي والمشورة عمر رضي الله عنه.

ومما كان يخبر به عن نفسه قوله: «لقد رأيتني في هذه الشعاب في إبل الخطاب، وكان فظًا غليظًا احتطب مرة على ظهري، واحتطب عليها أخرى، ثم أصبحت اليوم تضرب الناس تحياتي ليس فوقى أحد ثم أنشد قائلًا:

لا شيء فيما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودى المال والولد

وروى أن عمر رضي الله عنه «نادى في الناس الصلاة جامعة ثم جلس على المنبر فما تكلم حتى امتلأ المسجد، ثم قام فقال: الحمد لله لقد رأيتني أؤاجر نفسي بطعام، ثم أصبحت على

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ط دار الفجر، الثانية ٢٠٠٤، فصل في موافقات عمر ﷺ ص٩٩.

(٢) الصفق بالأسواق: بسكون الفاء وفتح الصاد التصرف في التجارة، والصفق أيضا عقد البيع، لأن كل من المتبايعين يضرب بيده على يد صاحبه، المصباح المنير، ص٢٠٦.

(٣) أخرجه البخاري كتاب البيوع ٢/ ٥، «تخريج الدلالات السمعية» التلمساني ص٧٠.

(٤) "فتح الباري" ابن حجر العسقلاني ٤/ ٣٥٠.

ما ترون، فلما نزل قيل له: ما حملك على ذلك؟ قال إظهار الشكر»[1]، إن عمر رضي الله عنه -وهو أمير المؤمنين - يقول هذا الكلام ليشير للضعيف وقليل المال أو منعدم العمل أن يسعى جاهدًا في رفع الإصر عن نفسه ولا يجزع ولا يصيبه يأس، لأن فرج الله قريب وكأنه يذكرنا بقوله تعالى: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة:٢١٤].

ففي كل ما سبق من هذه الآثار ما يدل على أن الفاروق كان يخبر الناس عما كان يحترفه ويعمل به قبل الخلافة، وقد تعددت مكاسبه من بين الاحتطاب، ومؤاجرة نفسه بالطعام، والمتاجرة في الأسواق، ولم يتغير حال الفاروق بعدما وكلت إليه الخلافة وصار رضي الله عنه خليفة للمسلمين؛ فالاكتساب لا ينقص قدر الشرفاء الأكرمين، مادام فيما أحل الله ﷻ ولا خلاف على أن الإنسان يتعلم من ذلك الإقبال على السعي مهما علا قدره، ولا يصيبه اليأس مهما وجد من صعوبة وشدة؛ فهذا هو المجال الطبيعي في طلب ما عند الله من أرزاق للعباد، فهذا شأن النبي ﷺ وخليفته أبي بكر الصديق ثم شأن عمر من بعدهم فلا حرج أن ينتفع المتعطلون من ذلك بما يأتي من دلالات:

الدلالة الأولى: طلب العمل في أي مجال منتشر بين الناس متعارف عليه ما دام حلالًا، حيث كان الاحتطاب، والحلب، والرعي من الأعمال المنتشرة التي عمل بها النبي ﷺ والصديق أبو بكر رضي الله عنه والفاروق عمر رضي الله عنه وهكذا ينبغي أن يعمل المتعطل فيما بدا له من عمل، أو كانت له به سابق خبرة فيما أحل الله لعباده من أمور المكاسب والأعمال.

الدلالة الثانية: أن الاكتساب لا يقلل من قدر الأشراف شيئًا؛ فالله تعالى يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾[المدثر:٣٨] . ويقول عز وجل ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ [الليل:٤] . فهؤلاء قدوة العباد قد اكتسبوا أرزاقهم من كدهم.

الدلالة الثالثة: إن البطالة هي الشذوذ عن القاعدة والاكتساب هو الأصل المعمول به، والفطرة المستقيمة بين البشر أجمعين.

---

(١) «سيرة ومناقب عمر بن الخطاب» أبو الفرج بن الجوزي ص١٢٣.

٢ – وسائل تهيئة المتعطل للاكتساب في الفكر العمري:

كان الفاروق رضي الله عنه مكتسبًا، وكان يأمر الناس بالاكتساب فيقول: «يا معشر الفقراء، ارفعوا رءوسكم فقد وضح لكم الطريق، واستبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالًا على المسلمين»[1]؛ فلما رأى الفاروق نفرًا من المسلمين قد رضوا لأنفسهم حياة الفقر دلهم على ما يهيئون به أنفسهم نفسيا للخروج من آثار البطالة النفسية فأمرهم بأن يرفعوا رءوسهم وهذا حال المعتز بربه الواثق بنفسه، ثم بين أن سبيل الخروج من حالتهم واضح المعالم لهم، ولا شك أن هذا السبيل هو الاكتساب والإجمال في الطلب! وقد قام الفاروق عمر رضي الله عنه بالعمل على تهيئة المتعطل للاكتساب، من خلال وسائل معينة، تتخلص عنده فيما يلي:

أ – الأمر بالعمل:

إن الفاروق عمر رضي الله عنه قد انتهج في الأمر بالعمل سبيل الموعظة ليرهب الناس من البطالة، فمما يؤثر عنه أنه قال: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة»[2]؛ فالمتعطل إذا سمع هذا النهى عن القعود عن طلب الرزق تتضح له ضرورة الكسب، لأن الرزق لا يناله الإنسان بالتمني، إنما بالإجمال في الطلب والاكتساب من وجوه الكسب الأصلية.

وإذا أمر الفاروق المتعطلين بالاكتساب فقد حث على أن يفقه المتعطل العمل الذي يزاوله قبل ممارسته له، وأن يكون لديه من الصبر والمصابرة على مواصلة المحاولة في إيجاد فرص عمل الحلال فلا يصيبه اليأس إذا فشل من أول مرة، إن رأس مال أي أمة ناهضة هو جهد أبنائها وكدهم، وهذا ما نبه عليه الفاروق المتعطلين حتى يهيئهم للاكتساب، ويصبحون من أهل العمل المفيد لهم ولمجتمعهم.

---

(١) ابن كثير، مسند الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق دكتور عبد المعطى القلعجي، دار الوفاء، الثانية سنة ١٩٩٢، ١/ ٣٤١.

(٢) على اللبودي، فضل الاكتساب وأحكام الكسب، تحقيق دكتور سهيل زكار، ص١٤٢.

ب- الحث على فقه أحكام المعاملات:

على المتعطل أن يفقه ما يقبل عليه من أعمال ومكاسب، فهو يحتاج إلى علم التجارة ليتميز له المباح من المحظور والخبيث من الطيب ولذلك روى عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف في السوق ويضرب بعض التجار بالدِّرَّة [1]، ويقول: «لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه، وإلا أكل الربا شاء أم أبى» [2]، إن المتعطل إذا سمع هذا الكلام من الفاروق عمر رضي الله عنه عليه قبل الدخول في العمل ضرورة دراسة المجال الذي يتجر فيه دراسة مستفيضة مع عمل دراسات اقتصادية حول المشروع الذي يدخل فيه، أو ما يسمى بلغة العصر «دراسة الجدوى» أو«دراسة فرص الاستثمار» [3].

جـ- بيان متى يغير المرء نشاط عمله؟

وإذا علم المتعطل مجال كسبه ثم مارسه ولكن لم يكتب له التوفيق، فلا يصيبه الإحباط واليأس وعليه أن يكرر المحاولة ويتعلم من أخطائه وتجاربه،وخاصة في التجارة في المجاهيل فإن أخفق فليبحث عن أخرى أو يغير نشاطه، يقول عمر الفاروق رضي الله عنه: «من اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يصب فيه شيئًا فليتحول إلى غيره »[4]، فالفاروق رضي الله عنه قد اهتم بالمجال التجاري لأن النبي ﷺ، قد أقر هذا المجال وسمى أصحابه بالتجار بعد أن كانوا يسمون بالسماسرة، ولذلك ذكر عمر لفظتي «شيء وشيئًا» وهى لفظة تدل على العموم لكل موجود إما حسًّا كالأجسام أو حكمًا كالأقوال، والمراد من «شيء» الأولى سلعة كالأقوات وغيرها، والمراد من «شيئًا» الثانية الربح والزيادة من هذه العملية التجارية، وجواب الشرط السابق هو «فليتحول إلى غيره»[5]، وهذا أمر يحمل على الوجوب للقرينة الدالة على ذلك، وهى أنه لم

---

(١) الدرة: السوط، المصباح المنير للفيومي مادة (درر) ص١١٧.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، المكتبة التوفيقية ٢/ ٩٦، على اللبودي أحكام الكسب ص١٤٩.

(٣) دكتور محمد عثمان، أبحاث فقهية في قضايا الزكاة المعاصرة، دار النفائس، الثالثة٢٠٠٤، ٢/ ٥٢٤.

(٤) ابن كثير، مسند الفاروق أمير المؤمنين، تحقيق دكتور عبد المعطى القلعجي، دار الوفاء ٢/ ٣٤١.

(٥) الفيومي المصباح المنير، مادة شيء، ص١٩٨.

يصب في متاجرته كسبًا فإن كرر المتاجرة فيه بعد ثلاث كان إهدارًا للموارد، والجهد، والمال، ولذلك يجب عليه أن يُغيِّر سواء نوعية الكسب، أو نوعية نشاطه التجاري.

د - الفاروق والمال العام:

إن مما هيأ به الفاروق عمر ﷺ المتعطل للاكتساب محافظته على أموال الدولة الإسلامية نقدًا كانت أو عينًا، فقد اعتبر نفسه أمينًا على أموال المسلمين فقال: «إني أنزلت نفسي وإياكم من هذا المال بمنزلة والي اليتيم فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾[النساء:٦]. ففي هذا الأثر يخاطب به عمار بن ياسر رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وعثمان بن حنيف رضي الله عنه لما أرسلهم إلى سواد العراق مما يدل على حرصه وأمانته في مال المسلمين حيث شبهه بمال اليتيم وقد علم ما في مال اليتيم، من حرمة إذا استحله وصيه، وما فيه أيضا من وجوب صيانته وإنمائه فهذا ما خاطب به الشرع المكلفين في مال اليتيم فقال الله في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾[النساء:١٠]. كما أمر الرسول ﷺ، ولي اليتيم فقال: «اتجروا في أموال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة»[(١)].

فنظرة الفاروق إلى مال المسلمين تدل على حفظه له وعمله على إنمائه وتكثيره ولا يكون إنماء بلا سعي واكتساب، ولذلك ترك الفاروق رضي الله عنه الأرض المفتوحة لأهلها يثمرونها، ويأخذ منهم الخراج وضرب الجزية على أهلها ففي الخراج لأبي يوسف «أنه لما افتتح عمر السواد والأهواز، فأشار عليه المسلمون أن يقسم السواد والأهواز وما افتتح من المدن فقال لهم: فما يكون لمن جاء من المسلمين؟ فترك الأرض وأهلها، وضرب عليهم الجزية، وأخذ الخراج من الأرض»[(٢)]، وأكبر الظن أن هذا إجراءٌ تدبيريٌّ من الفاروق رضي الله عنه - من باب

---

(١) أخرجه السيوطي، الجامع الصغير عن الطبراني بالأوسط وصححه من حديث أنس، (١/ ٧).

(٢) أبو يوسف، الخراج تحت عنوان (ما عمل به في السواد)، ص٢٨، أبو الفرج بن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن الخطاب، دار التقوى، الأولى سنة ٢٠٠٠، ص٨٠.

السياسة الشرعية – خشية ألا يجد من سيأتي بعد مجالًا للأعمال؛ ففي حفظه لمال المسلمين نقدًا وعينًا خير ما يعين به العاطلين على العمل، وفى جملة «فما يكون لمن جاء من المسلمين؟» [1]، وهي جملة مشتملة على استفهام يفهم منه النظرة المتأملة العميقة، والفكر الحكيم الثاقب، الذي كان عليه الفاروق رضي الله عنه.

وكأن الفاروق رضي الله عنه رأى أن الأرض إذا وزعت على الفاتحين كثر المتعطلون، من أهل الأرض، كما أنه يؤدي إلى عدم وجدان الأرض لمن يأتي بعد من المسلمين فيما يستقبل من الزمان مستدلًا بآية سورة الحشر، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

هـ - الفاروق رضي الله عنه وإحياء الموات:

لقد أقر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إحياء الأرض الموات كما سنه الرسول ﷺ، ولكن الفاروق رأى بعض الناس في عهد خلافته يقيمون الأسوار حول الأرض ثم يتركونها سنوات لا يعمرونها فما كان منه إلا أن حافظ على أموال المسلمين؛ إذ رأى أن المقصود من إحياء الموات عمارة الأرض، والمنفعة العامة للناس فقيد الإحياء بمدة زمنية كافية لاستخراج خيرات الأرض وهي ثلاث سنين فقال وهو على المنبر: «من أحيا أرضا ميتة فهي له، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين» [2]، ففي هذا تحفيز للمتعطل أن يعمر الأرض، لاستغلالها فيما ينفع حتى لا يعطلها وهى من أهم موارد العمل على مر العصور إذا ما تم تطبيقه كما بين

---

(١) هذا الاستدلال في الخراج لأبى يوسف ص٣٥، دكتور محمد البلتاجي، منهج عمر بن الخطاب في التشريع، مكتبة الشباب، الثانية ١٩٩٧، ص١٢٣.

(٢) يحيى بن آدم القرشي، الخراج، ص٩٠، والخراج لأبى يوسف ص٦٥، واللفظ له، وأخرج البخاري أصل الحديث، كتاب الحرث والمزارعة باب من أحيا أرضاً مواتاً بلفظ آخر (٢/ ٤٨)، مُحَمد مُحمد المدني، نظرات في فقه الفاروق ص١٦٣.

النبي ﷺ، والفاروق عمر من بعده كما أن شريعة إحياء الموات تحدث التوازن بين الطاقة البشرية التي تحتاج إلى العمل، وبين حجم العمل نفسه، وسوف نعرف أثر ذلك في العلاج من خلال الكسب من خلال الغرس والحراثة أو ما يسمى بالمزراعة.

مما سبق يظهر تهيئة الفاروق الأفراد للعمل حتى لا يقعد مكتسب عن العمل وبه قوة على السعي، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، هل عمل الفاروق على تشغيل المتعطلين؟ هذا ما سيتضح فيما يلي:

و- الفاروق واقطاع الأرض لتشغيل القادرين:

لقد عمل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على تشغيل الأرض كأحد ركائز الإنتاج فقد أقطع [1]، الأرض لمن ينتفع بها ويحيى الموات منها بالعمارة والإنبات فجاء في كتاب الخراج ليحيى بن آدم أنه كان بالبصرة رجل يقال له نافع أبو عبد الله – وكان أول من افتَلَى الفُلِيّ [2]، بالبصرة – فأتى عمر رضي الله عنه، فقال: إن بالبصرة أرضًا ليست بأرض الخراج ولا تضر بأحد من المسلمين قال: فكتب إليه أبو موسى يعلمه بذلك وغيره أنه أول من افتَلَى الفُلِيّ بالبصرة فقال: أزرعها لخيلي، قال: فكتب عمر إلى أبى موسى: «إن كانت ليست تضر بأحد من المسلمين، وليست من أرض الخراج فاقطعها إياه»[3]، فهذا الحديث يدل على مدى ما كان ينتفع به الفاروق من أرض ؛ فكان يقطعها لمن أرادها ما دامت ليست بأرض خراجية ولا تضر بأحد من المسلمين، ولا خلاف في أن أول من أقطع الأرض رسول الله ﷺ ففى الحديث النبوى قال النبي ﷺ: «من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو له » فخرج الناس

---

(١) الإقطاع: هو ما يقطعه الإمام أو الحاكم من الأراضي العامة التي ليست ملكاً لأحد لينتفع بها في زرع أو غرس أو بناء استغلالاً أو تمليكاً، الموسوعة الإسلامية العامة ص١٩٣.

(٢) الفلى: بضم الفاء وكسر اللام وتشديد الياء جمع – فلاة وهى الصحراء، والافتلاء: الرعي، المصباح المنير ص٢٨٦.

(٣) أخرجه يحيى بن آدم في كتابه الخراج رقم ٢٤٦ - ٢٤٩، ص ٧٨، قال المحقق دكتور محمود محمد شاكر: وهذا مرسل ورواه البلاذري والطحاوي بإسناد آخر، ص٧٩.

يتعادون ويتخاطون [1]، فالحديث فيه دلالة على أن النبي ﷺ فتح الباب لكل من أراد الأرض، ويبدو أن هذا على سبيل التأليف لقلوب من في قلبه مرض حتى إذا قوي الدين، وثبت الإيمان، صارت الأرض لمن يعمرها ويصلحها، فهذا من مجالات العمل التي غفل عنها المسلمون ألا وهو النظر إلى الحيز والمساحة من الأرض وكيفية إنمائها، وسوف نتعرف على طرق استغلال الأرض في الإسلام.

ويتضح مما سبق أن الفاروق قد اتخذ أكثر من طريق لعلاج البطالة والحد من وتيرتها، فقد وعظ؛ فحذر وأنذر، كما نصح؛ فأرشد، كما حافظ على مال المسلمين؛ فاستثمره في صالحهم، كما عمل على تشغيل أصحاب البطالة قدر الوسع، كما توسع في العمران حتى تتسع مجالات العمل؛ حيث أيقن أن هذه سنة الله في بناء الحضارة في المجتمعات، فاتبعها عمر رضي الله عنه في عهده فكثر الخير، وسعدت الأمة.

٢-الفاروق عمر وتشغيل المتعطل:

كما هيأ عمر رضي الله عنه المتعطلين للعمل والاكتساب من خلال النصح والنهي عن القعود قام أيضا بتشغيلهم، ففي الأثر «أن شابًا قويًا دخل المسجد وفى يده مشاقص [2] وهو يقول: من يعينني في سبيل الله؟ «أي بزاد وراحلة» فدعا به عمر رضي الله عنه؛ فأتى به فقال: من يستأجر منى هذا يعمل في أرضه؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا أمير المؤمنين، قال بكم تأجّره كل شهر؟ قال: بكذا وكذا، قال: خذه؛ فانطلق به يعمل في أرض الرجل أشهرًا ثم قال عمر رضي الله عنه للرجل: ما فعل أجيرنا؟، قال: صالحٌ يا أمير المؤمنين، قال: ائتني به، وبما اجتمع له من الأجر، فجاء به وبصرة من دراهم فقال: خذ هذه إن شئت؛ فالآن اغز وإن شئت فاجلس» [3].

---

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب إقطاع الأرضين، ٣/ ١٧٤.

(٣) المَشَاقِصُ: جمع مِشْقص بكسر الميم، سهم فيه نصل عريض، المصباح المنير للفيومي ١٩٢.

(١) محمد يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، المكتبة التوفيقية (٢/ ١٦٠) وعزاه إلى كنز العمال (٢/ ٢١٧).

إن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في هذه العاطفة الحانية على أفراد مجتمعه رغم كثرة انشغاله بأمور المسلمين خارجيًّا وداخليًّا لم ينس خبر هذا الشاب المتعطل، الأجير من بعد حتى بعد أن يعمل في أرض الأنصاري أشهرًا قلت أو كثرت، فمتابعة عمر لخبر هذا المتعطل تدل على أن التشغيل للمتعطل ليس الهدف وحده إنما الغرض هو استقامة حال هذا المتعطل حتى يصبح فردًا نافعًا لمجتمعه، فقال عمر:«ما فعل أجيرنا؟»، فكان جواب الأنصاري بصلاحه وإصلاحه.

وفي الأثر السابق ما يدل على أن الشاب فقير، فقد سأل العون فلما علم الفاروق ذلك من حاله إذا به رضي الله عنه يعرض على أصحاب الأعمال أن يقبله أحدهم أجيرًا عنده بالشهر، ولم يقف عمر عند هذا الحد الأمر، بل اتفق على الأجرة التي ينتفع بها، وفي فترة العمل حيث عمل «في أرض الرجل أشهرًا» ما فيه صرف لمشكلة البطالة من طريق هذا الشاب، كما أن في الأثر بيان للتوجيه الصحيح من المسئول لرعيته.

والفاروق رضي الله عنه يعلم أن الاكتساب والسعي في أرض الله ﷻ له أجر جزيل وثواب عظيم، فقد قرن الله ذلك بالجهاد في سبيل الله – تعالى – فلما رأى عمر الشاب قويًّا أراد أن يلقنه درسًا في أن العمل يؤجر عليه المرء، وأنه أولى من مسألة الناس فالله سبحانه قال: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[المزمل:٢٠].

وبتكييف بطالة هذا الشاب، يتبين أنها بطالة اختيارية، حيث إن العمل متاح والقوة متوفرة ولكن الشاب كان راغبًا عن العمل، وهذه البطالة الاختيارية تعد مأزقا خطيرًا إذا انتشرت بين شباب الأمة لذلك أجبر الفاروق عمر رضي الله عنه هذا الشاب القوى على العمل أجيرًا في أرض الأنصاري الدليل على ذلك الإجبار ما يلي:

١ – أن عمر عرضه للعمل دون أن يعرف رغبته بالقبول أو الرفض.

٢ – أن عمر لما سأل عنه قال «ما فعل أجيرنا» ولم يقل «أجيرك» وأضافه إلى نفسه لأنه وحده بصفته ولى الأمر له الحق في ذلك دون غيره.

٣ – أنه لما علم عمر بصلاح حاله طلبه وما اجتمع له من أجر فأعطاه الأجر ثم رد عليه اختياره مرة ثانية وكأنه يقول للشاب «أحب ما تعمل حتى تعمل ما تحب».

٤ – أن العمل إذا توفر وزهد فيه المتعطل أجبر عليه حتى يتم أداء الواجب من الأعمال، هذا ما ذهب إليه ابن تيميه حينما قال: «إذا كان الناس محتاجين إلى فلاحة قوم، أو نساجتهم، أو بناءهم، صار هذا العمل واجبًا يجبرهم ولى الأمر عليه»[١].

٤ – موقف عمر من بطالة أهل الكتاب:

إن الإسلام لم يكن عنصريًا يومًا من الأيام، بل من قيمه الرحمة والتسامح مع كل من يعيش في ظل الدولة الإسلامية، أو نظرة الإسلام إلى المتعطل بسبب عجزه أو شيخوخته أو مرضه تتمثل في أن على الدولة أن ترعى حق هؤلاء مسلمين أو غير مسلمين؛ فها هو الفاروق رضي الله عنه «مر بباب قوم وعليه سائل يسأل: وكان شيخًا كبيرًا ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ[٢]، له بشيء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته[٣]، ثم نخذله عند الهرم ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة:٦٠]. والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضرباته»[٤]، ومن هنا ندرك احترام الفاروق رضي الله عنه أهل الكتاب في أنفسهم بل وأموالهم المعتبرة عندهم، حتى التي حرمها الله عندنا كالميتة والخنزير والخمر، «فأمر ولاته ألا يأخذوا

---

(١) ابن تيمية، الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية، تحقيق صلاح عزام، مطبوعات الشعب، الأولى سنة ١٩٧٦، ص٣٠.

(٢) رضخ بشيء: أي أعطاه شيئاً ليس بالكثير، بمعنى نفع وزنا ومعنى المصباح المنير، ص١٣٧.

(٣) الشبيبة: هو الشباب وذلك سن قبل الكهولة، والكهل من جاوز الثلاثين، المصباح المنير، ص١٨٢.

(٤) أبو يوسف، الخراج، فصل فيمن تجب عليه الجزية، ص١٢٦، دكتور عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ط دار السلام، سنة ١٩٩٢، ١/ ١٤٢.

الجزية في الخمر والخنزير، وأن يتركوا أربابها يبيعونها، ثم يأخذوا الثمن منهم؛ فهو بذلك يترك لأهل الكتاب مواردهم المالية حتى المحرم عندنا، لكي يطلبوا فيها قوتهم وأرزاقهم ولا يعطلهم عن أعمالهم، قال سويد بن غفلة: «حضرت عمر بن الخطاب وقد اجتمع إليه عماله فقال: يا هؤلاء إنه بلغني أنكم تأخذون في الجزية الخنزير والخمر، فقال بلال رضي الله عنه: أجل إنهم يفعلون ذلك فقال عمر: فلا تفعلوا، ولكن وَلُّوا أربابها بيعها، ثم خذوا الثمن منهم»[1].

وصاحب العمل من أهل الكتاب كانت تضرب عليه الجزية على قدر ما يجيد من حرف ومهن، ولم تفرض الجزية على المتعطل أبدًا وهذا يدل على ضرورة العمل والاكتساب؛ لذلك نهضت الدولة الإسلامية في عهد الفاروق رضي الله عنه أيما نهوض، حيث لا مكان لمتعطل في رعاية الدولة – حتى ولو كان من أهل الكتاب – فضلا عنه إن كان من المسلمين؛ فالعمل موجود للقادر عليه ولكل فرد من أفراد رعيته.

المطلب الثالث: (موقف عثمان بن عفان رضي الله عنه من البطالة):

ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه، الملقب بذي النورين لأنه تزوج بابنتي رسول الله ﷺ على التوالي، ولى الخلافة بعد الفاروق عمر، في وقت توسعت فيه الدولة الإسلامية وكثر فيها العطاء وزاد، فكان في عهده رخاء اقتصادي، وهو ممن يُقتدَى بهم من أئمة الهدى والدين، ويتضح موقفه رضي الله عنه من البطالة فيما يلي من وسائل وأساليب اتخذها عثمان رضي الله عنه:

١ – كسب عثمان بالتجارة:

كان عثمان رضي الله عنه من أهل التجارة وهى حرفة معظم القرشيين من خلال رحلة الشتاء، والصيف، والتنقل عبر البلدان لجلب السلع وبيعها، ففي الجاهلية «كان نفر من قريش هم: الفاكه بن المغيرة، وعوف بن عبد مناف، وعفان بن أبى العاصي قد خرجوا تجارًا إلى اليمن،

---

(١) أبو يوسف، الخراج، ص١٢٦، دكتور إبراهيم سليمان عيسى، معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام ص١٢٨.

ومع عفان ابنه عثمان، ومع عوف ابنه عبد الرحمن، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بني جذيمة كان هلك باليمن إلى ورثته»[1]؛ ففي خروج عثمان في سن صغير في تجارة مع أبيه يدل على أن التجارة كانت أكثر المكاسب انتشارًا، ولذلك ليس بعجيب أن يجد الباحث الصديق أبا بكر، والفاروق عمر وذا النورين عثمان ثلاثتهم من كبار التجار، والمكتسبين أقواتهم بالتجارة، والمتعطل يقتدي بهؤلاء الأئمة فيتاجر كما تاجروا؛ لأن التجارة تمتاز من بين المكاسب أنها قد لا تحتاج إلا إلى رأس مال وبذل الجهد في البيع.

٢ - دور التربية في علاج البطالة:

ومن الواضح أن الآباء كانوا يدربون أبناءهم على التجارة، فإن عوف أخذ ولده عبد الرحمن، وعفان أخذ معه ولده عثمان في الرحلة اليمنية، إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن من أهم المسئوليات التي يجب أن يقوم بها الوالد تجاه ولده أن يشجعه على العمل الحر، وأن يدربه عليه سواءً أكان هذا العمل صناعيًّا أو زراعيًّا أو تجاريًّا، لذلك وجب على المربِّي أن يدفع الولد منذ صغره للتدريب على بعض المهن فهذا لا يخالف التعلم[2]، ويعتبر من التدابير الوقائية من البطالة؛ فعثمان رضي الله عنه، قد دربه أبوه على التجارة حتى صار من المكتسبين الضاربين في الأرض يبتغي فضل الله، وليس الأمر موقوفا على عثمان، بل أيضا عبد الرحمن بن عوف قد اصطحبه أبوه في هذه الرحلة لنفس السبب، لذلك يرى الباحث أهمية دور الأسرة في تنشئة الولد على حب العمل والاكتساب، بل خطورة دور الوالد خاصة على تنشئة ولده على ذلك، وتدريبه على مواجهة صعاب الحياة في الكسب وابتغاء الرزق.

وبعدما دخل عثمان بن عفان رضي الله عنه الإسلام أصقله ذلك بالعديد من آداب التجارة وتعاليم أحكام البيع والشراء، التي تحفظ ذمة التاجر وماله وحقه؛ فقد روي أن عثمان اشترى أرضًا من رجل فأبطأ عليه فلقيه فقال: ما منعك من قبض مالك؟ قال الرجل: إنك غبنتني، فما ألقى من الناس أحدًا إلا وهو يلومني قال: أذلك يمنعك؟ قال: نعم، قال: فاختر بين

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق دكتور أحمد حجازي السقا، ط دار التراث العربي ٤/ ٣٢٧.

(٢) عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام ٢/ ٩٢٦.

أرضك ومالك، ثم قال: قال رسول الله ﷺ «أدخل الله الجنة رجلًا كان سهلًا مشتريًا وبائعًا وقاضيًا ومقتضيًا»[1]، فالأثر يدل على أن عثمان اشتغل بالتجارة قبل الإسلام وبعده، وأنه لم يجد في الدين إلا ما يثبته على الحق في معاملاته فإنه اتهم بالغبن[2]، فإذا به ﷺ يُخيِّر الرجل بين أرضه وماله، وتلك هي سماحة الإسلام في البيع والشراء.

الحالة الاقتصادية في خلافة عثمان بن عفان:

كان اقتصاد الدولة الإسلامية قد استقامت موارده منذ عهد الفاروق عمر رضي الله عنه وتحمل عثمان ﷺ أعباء الخلافة في حالة هذا النمو الاقتصادي للدولة، فثمار العهود والمواثيق التي قطعها أبو بكر وعمر مع أصحاب الأقاليم قد أنتجت وفرة في مالية الدولة في عهد عثمان رضي الله عنه من خراج وجزية، وزاد عثمان في العطاء تبعا لتلك الزيادة في الخراج والجزية وما غنمه المسلمون في عهده، «فإنه لكثرة المال كان عثمان لا يكتفي بما فرض للناس وإنما يزيد من شاء»[3]، وكان عثمان رضي الله عنه يقرض المحتاج من ماله الخاص ويهب القرض للمستقرض وفاءً وبرًّا؛ فورد أن رجلًا لقي عثمان رضي الله عنه حالة مخرجه من المسجد فقال له الرجل: الخمسين ألفًا التي لك عندي قد حصلت فأرسل من يقبضها، فقال له عثمان: «إنا قد وهبناكها لمروءتك»[4]، فدلالة تلك الهبة من سيدنا عثمان رضي الله عنه للمستقرض على كمال مروءته وكرم جوده، فهو صاحب المال، وملكيته الخاصة، وليس من ملكية الدولة وإلا لما وهبه إياه، لأنه كان من كبار التجار ومن أصحاب رؤوس الأموال وكان محترفًا في المعاملات[5].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، حققه جماعة من العلماء، دار الريان الأولى ١٩٨٨ م ٧/ ٢٢٦، أخرجه السيوطي بالجامع الصغير ٢/ ٢٣، عن ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله وصححه.

(٢) الغَبْن: هو الظلم والمراد به نقص ثمن البيع أو السلعة من أرض أو عقار أو مأكولات،، نقصاً فاحشاً.

(٣) دكتور على الرفاعي نعمة الله، أضواء على تاريخ الخلفاء، دار الهدى سنة ١٩٨٦، ص٣٢٥.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، (٧/ ٢٢٧)، دكتور على نعمة الله، أضواء على تاريخ الخلفاء، ص٣٢٦.

(٥) القاضي أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، مكتبة السنة السادسة، سنة ١٤١٢هـ ص١١١.

وكانت موارد بيت المال مستمرة لا تنقطع، وما يأتي إليه كان يوزعه على الناس، فالكل في رغد من العيش، يجد قوته وقوت عياله من غير عناء.

٣- عثمان ﷺ يحترف في أموال المسلمين:

على ذات النهج الذي كان عليه أبو بكر وعمر سار عثمان ﷺ، فقد استعمل عقليته التجارية في إنماء أموال المسلمين، «فلما اصطفى [١]، عمر من أرض السواد أموال كسرى وأهل بيته كان مبلغ غلتها تسعة آلاف ألف درهم لمصالح المسلمين، ولم يقطع شيئا منها ثم أقطعها عثمان رضي الله عنه، لأنه رأى أن إقطاعها أوفر لغلتها من تعطيلها وشرط على من أقطعها إياه أن يأخذ منه حق الفيء، فكان ذلك من إقطاع إجارة لا إقطاع تملك فتوفرت غلتها حتى بلغت على ما قيل خمسين ألفَ ألفِ درهم فكان منها صِلاته وعطاياه ثم تناقلها الخلفاء بعده»[٢].

وهذا الإقطاع للصوافي بالكيفية التي قام بها عثمان رضي الله عنه يدل على عبقريته في الاحتراف المالي، مما أدى إلى زيادة الإنتاج وتشغيل العديد من الأيدي العاملة، وفى ذلك توجيه لنا في استغلال الأرض التي لم يتعين لها مالك فتستغل بالإجارة ويعمرها الناس وهذا من التوسيع في خلق فرص العمل للمتعطلين.

والإقطاع السابق إحدى صور احتراف عثمان في أموال المسلمين وبذلك رعى حقوق العباد، وأكثر في عطاءهم، وأغدقه عليهم.

وفى عهد عثمان رضي الله عنه كثر الثراء بين عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فأصبح طلحة ابن عبيد الله رضي الله عنه من أصحاب الأملاك الواسعة في العراق، وكذا كان للزبير بن العوام رضي الله عنه

---

(١) الصوافي: هي كل أرض كانت لكسرى أو أهله أو لرجل قتل في الحرب ولا وارث له، أو لرجل لحق بأهل الحرب فحكمها إلى الإمام، وسميت صوافي، لأن عمر استصفاها أي جعلها خالصة لبيت مال المسلمين، دكتور محمد البلتاجي، منهج عمر بن الخطاب في التشريع، ص٢١٧.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الفكر، بيروت لبنان سنة ٢٠٠٢، ص١٩٣.

في الكوفة وقد اشترى مروان بن الحكم ﷺ أرضًا بالعراق كان يجري فيها نهرًا خاصًّا عرف باسمه وأيضا حكيم بن حزام ﷺ الذي كان يحج وأمامه مائة عبد، وخباب بن الأرت ﷺ وكذا المقداد بن الأسود ﷺ، وكذا أبو هريرة ﷺ، وغيرهم ممن اشتهر بالفقر على عهد رسول الله ﷺ.

وبذلك تحقق في عهد عثمان ﷺ وعد الرسول لأصحابه ﷺ حين قال: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنى أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم »[1].

المطلب الرابع: (موقف الإمام على ﷺ من البطالة):

رابع الخلفاء الراشدين الإمام على بن أبى طالب – كرم الله وجهه و ﷺ _ ابن عم رسول الله وزوج ابنته، وهو ربيب بيت النبوة، حيث كفله رسول الله ﷺ، ليعين عمه أبا طالب إذ كان معيلًا، فكان أول من آمن به من الصبيان روت كتب السيرة أنه «بويع بالخلافة بعد قتل عثمان ﷺ إلا أنه ردها حتى تكون بيعه عامة فدخل في حائط عمرو بن مبدول وأغلق بابه فجاءه الناس؛ فطرقوا الباب وولجوا عليه ولم يزالوا به حتى أجاب»[2]؛ ويتجلى موقفه ﷺ من البطالة وفي علاجه لتلك المشكلة فيمايأتي من النقاط التالية:

١ –الإمام على ﷺ قدوة في تنمية المهارات وبذل المجهود عند انعدام الموارد :

يختلف الإمام على عمن سبقه من الخلفاء الراشدين في أن أحب المكاسب كلها ومارسها وعاون عليها من زراعة، وتجارة، وصناعة بل كان الإمام على ﷺ يضرب لنا أروع الأمثلة في بذل الجهد طلبًا للرزق، فقد أجر الإمام عليّ ﷺ نفسه بأجر هو طعمة ملء بطنه،

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي، ٣/ ١٣، المجلد الثاني، دكتور على رفاعي نعمة الله، أضواء على تاريخ الخلفاء ص٣٢٨.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٧ / ٣٢٧، المجلد الرابع، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٣٩.

إن دل على شيء فإنما يدل على أن علاج البطالة – من وجهة نظر الإمام عليّ رضي الله عنه – في بذل الجهد، وأنه نبه وذكر بما قد أشار القرآن المجيد إلى ذلك، فقال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾[التوبة:٧٩]. وأخبر رضي الله عنه عن نفسه فلم يتحرج فلا دناءة في الكسب.

إن المتعطل إذا عدم المال والأرض والحرفة فماذا يفعل؟! فيشير إليه الإمام علي رضي الله عنه إلى علاج مثل هذه الحالة من البطالة – وهي من نوع البطالة الاضطرارية – أن بذل الجهد هو آخر ما يمكن أن يعالج به المتعطل بطالة نفسه، ولا يشك عاقل في كون الجهد المبذول هو الأصل لكل اكتساب وسبب كل رزق مستطاب، وسيأتي مزيد توضيح لهذه الجزئية.

والمتعطل إذا أراد تنمية مهاراته فلن يجد أعظم مثال لتلك التنمية المهارية من الإمام علي رضي الله عنه الذي اكتسب بالزراعة والصناعة والإجارة والتجارة وأعان على تحقيق تلك المكاسب في عهد خلافته الراشدة، ولذلك ينبغي دراسة سيرته العطرة خصوصًا إذا علمنا أن خلافته كانت في زمان فتن شداد، بدأت بمقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه، وتوالت بمطالبة بعض الصحابة الثأر بدم عثمان، وأن ينظر في شأن قتلة عثمان قبل أي شيء آخر من شئون الخلافة، ومع ذلك ظلت المكاسب في عهده، من زراعة وتجارة وصناعة، مارستها الأمة على عهده، وزاولتها وأخذ الناس يتوسعون فيها.

٢ – الإمام علي رضي الله عنه واستغلال الأرض:

لقد نفذ الإمام علي رضي الله عنه التعاليم الإسلامية الخاصة بالأرض، بألا تبقى معطلة بل وتستغل بالزراعة والإعمار، فزارع رضي الله عنه ولم ير بأسًا بالمزارعة على النصف [1]، والمزارعة إحدى العقود الإسلامية المتعلقة بالأرض الزراعية.

وقد كان الإمام علي رضي الله عنه يقوم بالعمل الزراعي بنفسه في ضيعته، وكان يؤجر الأجراء ليعملوا في أرضه مع مباشرته كذلك، العمل بنفسه فيها «فقد سأل عمر رضي الله عنه عن أبي الحسن

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب المزارعة بالشطر ونحوه ٥ / ١٣.

– كنية الإمام علي – ذات يوم فقيل له إنه ذهب إلى أرض له، فقال اذهبوا بنا إليه فوجدوه يعمل فعملوا معه ساعة ثم جلسوا يتحدثون» [1]. فكان الإمام على يزاول الزراعة بنفسه، ويؤجر من الناس من يزرع معه، وهذا مظهر من مظاهر تشغيل العمالة، وإنهاء بطالة المتعطلين عن طريق الزراعة إن دل إنما يدل على التفات أئمة الهدى إلى الزراعة كمجال تشغيل للعديد من الأيدي العاملة التي تتطلب العمل – الزراعة – مجال عمل يتسم بالاستمرارية.

ومن الوسائل التي استغل بها الإمام علي رضي الله عنه الأرض إحياء الموات فقد «رأى ذلك الإمام علي رضي الله عنه في أرض الخراب بالكوفة مواتًا » [2]، وبذلك توسع الناس في الأعمال والعمران، وكان من آثار ذلك أن زاد الخير في عهده رضي الله عنه، وهذا من تنمية مهارات المتعطل فإذا ضاق العمران بأهله، خرج إلى مكان آخر يعمره ويصلحه، فما تزال أرض الله تحتاج إلى من يحرثها ويعمرها بالبنيان وإلى ما شاء الله.

٣–الإمام علي يتعاون مع الصُنّاع:

الصناعة أحد المكاسب التي نظر إليها الإمام نظرة هامة فنراه يتعاون مع أصحاب الحرف والمهن المنتشرة في عصره، ولا غرو فهو ربيب بيت النبوة، وابن عم رسول الله الذي تعامل مع أصحاب المهن المختلفة كالنجار، والخياط، والحداد، لذا فلا نرى غرابة في تعامله رضي الله عنه مع هؤلاء فيقول موضحًا إحدى معاملاته: «واعدت رجلًا صواغًا من بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه من الصواغين وأستعين به في وليمة عرسي»[3]، فالإمام علي رضي الله عنه تعامل مع هذا الصائغ اليهودي لأن الإسلام لا يمنع من ذلك.

---

(١) دكتور الحبيب الجنحاني، المجتمع العربي الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، عالم المعرفة عدد ٣١٩، سنة ٢٠٠٥، ٥٧.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الحرث والمزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً، ٢ / ٤٨ المجلد الأول.

(٣) أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب ما قيل في الصواغ، ٢/ ٩.

فعلى المتعطل أن يتعامل مع من يذهب عنه البطالة حتى ولو كان غير مسلم، «ولقد كانت بعض الحرف لا يجيدها إلا غير العرب ويحتمل أن تكون الصياغة في أول الإسلام حرفة اليهود» [1]، واتضح من هذا الأثر لعلماء الإسلام «أنه لا يلزم من فساد الصنعة أن تترك معاملة صاحبها » [2]، كما أنه لا يلزم من فساد عقيدة الصانع ترك معاملته فقد تعامل النبي ﷺ مع جميع الطوائف في المدينة المنورة، كذلك أمر المتعطل فلابد من الاكتساب بأي نوع من أنواع المكاسب صناعة أو غيرها.

٤- ضمان ما أتلف الصناع وأثره في إتقان العمل:

إن الصانع المحترف في مهنته لا يكون محترفًا إلا بعد تدريب متواصل واهتمام بما وجب عليه عمله، حتى يتقن صنعته ويجودها، ولقد كان الصناع لا يضمنون ما أتلفت أيديهم؛ فرأى الإمام على أن يضمنوا؛ إذ لو لم يثبت تضمينهم لأفضى إلى أحد أمرين: إما ترك الاستصناع بالكلية، وذلك شاق على الخلق، مناف للفطرة، أو أن يعملوا ولا يضمنوا ذلك بدعوى الهلاك فتضيع الأموال وتتطرق الخيانة، فكانت المصلحة التضمين، وقد ترجم ذلك الإمام على حينما قال: «لا يصلح الناس إلا ذاك»[3]، ففي ذلك بيان سعي الإمام علي رضي الله عنه في تشريع ما فيه صلاح وإصلاح للأمة.

وهذا التضمين فيه إثارة النفس وحثها على إتقان الحرفة، خاصة إذا كان الصانع قد اتخذها سببًا لقوته وقوت من يعول، فعلى المتعطل أن ينمى قدراته ومهاراته ولا يصيبه الإحباط، وليعلم أن الرزق قد تكفل به الله ﷻ لخلقه وسبب له الأسباب، وما على المرء إلا أن يتقى الله ويجمل في الطلب، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾[الكهف:٨٤،٨٥]. فلقد أخذ الإمام علي رضي الله عنه، بأسباب الحياة.

---

(١) التلمساني، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق أحمد محمد سلامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سنة ١٩٩٥، ص٧٢٧.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٤/ ٣٧١).

(٣) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى كتاب الإجارة.

هذا هو الإمام علي رضي الله عنه أخذ بأسباب الحياة فزرع وزارع، وتاجر، وربح ولم يفعل ذلك إلا لعلمه بأنه الطريق الحق الذي سنة النبي ﷺ لأمته، والذي وضعه الفاروق للفقراء حينما قال: «فقد وضح لكم الطريق»، كذا المتعطلون يقال لهم: قد وضح لكم الطريق أيها المتعطلون فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وابذلوا الجهد بالتحامل في الأسواق أو التعامل؛ فذاك علاج البطالة كما رآه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه؛ وكيف لا وهو القائل؟!

لنقل الصخر من قمم الجبال ... أحب إليّ من منن الرجـال

يقول الناس لي في الكسب عار ... فقلت: العار في ذل السؤال[1].

وإذا كان هذا موقف الخلفاء الراشدين الأربعة من البطالة؛ فلاشك أن الولاة والأمراء المسلمين قد ساروا على منهجهم من بعدهم فهذا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قيل له: يا أمير المؤمنين ما بال الأسعار غالية في زمانك، وكانت في زمان من كان قبلك رخيصة، قال: إن الذين كانوا قبلي يكلفون أهل الذمة فوق طاقتهم فلم يكونوا يجدون بدًّا من أن يبيعوا ويكسد ما في أيديهم، وأنا لا أكلف أحدًا إلا طاقته؛ فباع الرجل كيف شاء [2]، ومن هنا يظهر أن الولاة والأمراء في الدولة الإسلامية سار كثير منهم على النهج الراشد ومن خالف شاق فإنما يحاسبه التاريخ قبل أن يحاسبه الله قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء:٨٨،٨٩].

وبعد تلك النظرة للولاة فلابد من سماع كلمة أهل الاختصاص والعلم في مشكلة البطالة، ثم نبحث جاهدين عن كلمة علماء الإسلام الذين فقهوا منهج الإسلام في علاج المشكلات، وساروا على هدي الرسول الخاتم ﷺ، فهل لهؤلاء العلماء رؤية ونظرة في حل مشكلة البطالة؟ هذا ما سيتضح من خلال المبحث التالي.

---

(١) محمد بن الحسن الشيباني، الكسب، ص ٩٩.

(٢) أبو يوسف، الخراج، ص ١٣٢.

المبحث الرابع

موقف العلماء من البطالة

المطلب الأول: أقوال العلماء المتخصصين في دراسة وعلاج مشكلة البطالة.

من المناسب أن تمتد النظرة إلى أقوال علماء الاجتماع والاقتصاد في مواجهة البطالة وعلاجها، لنتعرف على آراء أهل الاختصاص كما قال الله ﷻ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣]. فنوافق على ما أصابوا فيه الحق والصواب وننظر فيما خالفوا فيه الحق والصواب، ومن تلك القضايا:

١ - بطالة المتعلمين:

لقد زادت نسبة بطالة المتعلمين على المستوى المحلى والإقليمي والعالمي، قالت دكتورة سامية مصطفى كامل: «قد كان من الاعتقاد السائد: أن التعليم يشكل إحدى المحددات الرئيسية للنمو والتنمية، باعتباره يؤدى إلى رفع الطاقة الإنتاجية لعنصر العمل حتى أدى ذلك إلى زيادة مشكلة بطالة المتعلمين، وصارت أكثر حدة عن تلك البطالة السائدة على مستوى جملة العمل لدرجة أن انقلب الاعتقاد السابق إلى اعتقاد أن التوسع في التعليم يشكل استثمارًا في موارد عاطلة»[1].

ولقد اعترف بهذه المشكلة القائمون على التعليم منذ عشرات السنين ثم اختلفت وجهات النظر في علاج بطالة المتعلمين، يقول دكتور طه حسين إذ كان وزيرًا للمعارف: «أردنا أن نبين أن أزمة البطالة للشباب المتعلمين في مصر لم تنشأ عن طبيعة الأشياء، وإنما

---

(١) دكتورة سامية مصطفى كامل، ورقة بحثية تحت عنوان التعليم سوق العمل بطالة المتعلمين، ص٦١١ وبعدها، بتصرف واختصار.

نشأت عن الإهمال والتقصير، وعن أخذ الأمور بالضعف والوهن والفتور» [1]، وسوف يعرض الباحث وسائل مواجهة بطالة المتعلمين من وجهة نظر إحدى دراسات الاجتماع مع تقييم لها من الوجهة الإسلامية هذه الوسائل ما يلي:

أ-وسائل علاج بطالة المتعلمين:

قد بينت الدكتورة سامية خضر هذه الوسائل فقالت: «إن التوسع في التعليم الفني والحِرَفي، وإقامة المدارس والمعاهد لتلك التخصصات ومراكز التدريب وإذا لم تستطع الحكومة القيام بذلك فيجب نشر قيمة الجهود الذاتية؛ ففي مجتمعات أوربا وأمريكا تنتشر فكرة الجهود الذاتية لعلاج مثل هذه المشاكل، أن تقوم الشركات والمصانع بتمويل وإقامة تلك المؤسسات التعليمية، وتعفى من الضرائب لأنها ستقلل عدد العاطلين الباحثين عن العمل.

إن العمل في جوهره مستعينًا بالتكنولوجيا ليس إلا توجيه الإنسان لمصادر الطبيعة فتعمل على تطوير حياته، «أي تصنيع الموارد الطبيعية واستخراج ما يخدم الإنسان منها» وإن الأخذ بالأبحاث العلمية وربطها بالمصانع والمؤسسات ضرورة من ضروريات التطور للقضاء على البطالة، وهناك أهمية لتحويل طموح الشباب من الدراسة الجامعية للدراسات الحرفية، كما أن هناك أهمية لتدعيم الريف بالصناعات الصغيرة حتى لا يهاجر شباب القرية إلى الحضر فيصبحون عالة على المدينة من ناحية، ومن ناحية أخرى تخسر المناطق الريفية أبناءها القادرين على العمل.إن تشجيع العمل الخاص، والحرف المختلفة يجعل الشباب يقبل عليها ولا يصمم على دخول الجامعة ثم ينتظر تعيين القوى العاملة بعد التخرج [2].من هنا نرى نظرة علماء الاجتماع لتلك المشكلة ، لكن ينبغي أن ندقق النظر للواقع أكثر فنرى عرفًا فاسدًا بين الشباب المتعلم ينبغي تعديله.

---

(١) دكتور طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، الثانية سنة ١٩٩٦م، ص٩٧.

(٢) دكتورة سامية خضر صالح، البطالة بين الشباب حديثي التخرج العوامل الآثار، العلاج، جامعة عين شمس قسم العلوم الاجتماعية، سنة ١٩٩٢، ص١٠٨وبعدها.

ب- بطالة المتعلمين بين عرف فاسد وواقع أليم:

إن من ينظر إلى واقع هذه المشكلة يجدها لا تظهر لدى المتعلم إلا بعد أن ينتهي من تحصيله للعلوم، أو على الأصح بعد حصوله على المؤهل؛ فيكتشف المتعلم أنه تخرج ليتعطل فيصطدم بالواقع، وفى الحقيقة إنه ترتيب غير صحيح؛ أن يبحث الشاب عن عمله بعد التخرج، بل يجب عليه الاكتساب بمجرد أن يشتد ساعده على العمل والسعي والاكتساب قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

[الصافات:١٠١،١٠٢].

ولا شك أن بلوغ السعي لا يشترط معه التخرج من الجامعة، وقد ورد في التفسير «إن إسماعيل عليه السلام كان له يومئذ ثلاث عشرة سنة، وقال ابن عباس: هو الاحتلام »[1]، ولقد سعى إسماعيل عليه السلام مع أبيه بالفعل أثناء رفع قواعد البيت وهذا عمل، ودلالة ذلك فساد ما تعارف عليه الناس حديثًا، من البحث عن العمل بعد التخرج، وهو عرف يصدمه صريح الدين، وصحيح العقل لأن طلب العلم لا يتناقض مع طلب الكسب، وقليل من الشباب من يدرك ذلك، وعادة السلف الجمع بين العمل الحلال، مع طلب العلم.

ولقد مارس كثير من فقهائنا وعلمائنا العمل اليدوي، «ومازلنا نسمع عن هؤلاء العلماء المنسوبين إلى الأعمال والحرف التي كانوا يزاولونها فيأكلون لقمة العيش منها دون أن يجدوا في أنفسهم أي حرج من هذه النسبة إلى الحرفة، فهذا الماوردي والزجاج والجصاص والخياط والقفّال والبزار والباقلاني والدقاق والقدوري الذي كان يشتغل بصناعة القدور، واشتهر كل واحد من هؤلاء العلماء بحرفته وصنعته؛ وليس بغريب عنا الإمام أحمد إذ يؤجر نفسه

---

(١) القاضي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٢/ ٢٩٨، دار الكتب العلمية، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٨٦، المجلد الثامن، الشوكاني، فتح السنة، ٤/ ٥٣١.

للحمل في الطريق إذا كان بحاجة لنفقة»[1]، ويتضح مما سبق أن المشكلة في عقول المتعلمين ولا يعتذر لهم بصعوبة الجمع بين طلب العلم والعمل إذا تعرفنا على الأعمال التي لا تشترط الانقطاع التام لها كالعمل الحر من تجارة أو حرفة.

ج- تقييم وسائل علاج بطالة المتعلمين:

من الحق أن يتوافق مجال العمل مع العلم الذي تم تحصيله ليتم التطبيق العملي لما حصله الطالب نظريًا، ونحن نؤيد ذلك وندعو إليه، لكن لا عن طريق ما يسمى بالجهود الذاتية المنسوبة إلى أوربا وأمريكا بل إلى هذا التكافل الاجتماعي المنسوب إلى الإسلام الحنيف من حق القرابة، وحق الرحم، وحق الماعون، وحق الجيران، وحق الفقير المتعطل، الذي لا يسأل معونة بل يسأل آلة عمله، لماذا نترك حلول شرعنا ونبحث عنها في ركام غيرنا؟!

إن التكنولوجيا سبق أن بينت أنها إحدى أسباب البطالة، ومع ذلك فليس كل تكنولوجيا تؤدى إلى البطالة، إن التكنولوجيا الحديثة لا يعترض عليها الإسلام الحنيف، لأنه لا يقف حجر عثرة ضد التقدم النافع، الذي يفيد البشرية جمعاء،على أن هذه التكنولوجيا إذا ظهرت بعض المساوئ لها فينبغي تجنب الإنسان شرها، وذلك من خلال التوسع في الأعمال، وبالتالي تكون التكنولوجيا عاملًا مساعدًا للإنسان في عمارة كون الله ﷻ، فيكون دخول التكنولوجيا محكومًا بسياسة عاقلة، حتى لا تفسد أكثر مما تصلح، لذلك فإنني أتحفظ على قول دكتورة سامية خضر: «إن العمل في جوهره مستعينًا بالتكنولوجيا ليس إلا تحوير الإنسان لمصادر الطبيعة»، فهذا إجمال لا يصلح في مقام التفصيل.

كما أن تحويل طموح الشباب من الدراسة الجامعية للدراسات الحرفية، لا أوافق عليه وأفضل أن يوفق الشابُّ المتعلم بين الدراسة الجامعية والدراسات الحرفية فلا تناقض بينهما، ودعوى التناقض عرف فاسد، ويجب نشر ثقافة القيمة في الاكتساب والعمل، فإن قيمة المرء فيما يحسن، ولقد تبنى البعض سياسة تقليل التعليم النظري والهدف من ذلك، انحسار

---

(١) دكتور إبراهيم النعمة، العمل والعمال في الفكر الإسلامي، الدار السعودية، الأولى سنة ١٩٨٥، ص٢، ٢٢.

مشكلة بطالة المتعلمين وليس بشيء، بل الأنجع في العلاج، والأمثل في المواجهة؛ أن يتعلم طالب الشهادة العلمية الحرفة المهنية دون أن يشعر بأدنى إحساس بالانتقاص.

وإذا توفرت الحرفة المهنية للشاب الجامعي بات مكتسبًا، ولم يعش تحت رحمة القوى العاملة أو وزارات وهيئات التشغيل.

إن لعلماء الاقتصاد والاجتماع دور يذكر ولا ينكر، فمن المفيد في علاج مشكلة البطالة أن تتضافر جميع الجهود العلمية والعملية، النظرية والتطبيقية، الخيرية والاستثمارية، الفردية والجماعية، الحكومية والأهلية ذلك إذا توحدت الغايات والأهداف في هدف واحد؛ هو تشغيل المتعطلين حتى نصل إلى درجة العمالة الكاملة أو نقارب ذلك.

٢-نظرية الندرة:

إن من علماء الاقتصاد من تحدث عن نظرية الندرة، وهى تعنى ندرة الموارد الطبيعية إذا قورنت مع حجم السكان، فحجم الموارد لتحقيق التنمية نادر - خاصة - التحولات التي يمر بها الاقتصاد العالمي وانعكاساته الداخلية في البلدان الوطنية، وهذا الأمر شكل عبئا على الحكومات تقول إحدى الباحثات: «ترجع البطالة في الدول المتقدمة إلى انخفاض مستوى النشاط الاقتصادي، بينما نجد البطالة في الدول النامية ترجع إلى عوامل ديمجرافية «أي عوامل سكانية» من ناحية، وإلى ضعف ومحدودية الطاقات الإنتاجية وعدم قدرتها لامتصاص العمالة الزائدة من ناحية أخرى، وذلك لندرة بعض عناصر الإنتاج »[1]، لاشك أن هذه النظرية لم تتفق حولها كلمة العلماء، لكن هناك من اتفق عليها، وهناك من عارضها، وإن كنت أهتم بقول أهل الاختصاص فإن من الضروري سماع ما يقولون وتصوره تصورًا صحيحًا لإمكانية الحكم عليه حكمًا صحيحًا.

---

(١) دكتورة سميحة السيد موافي، البطالة في مصر، ورقة بحثية بعنوان (سياسة مواجهة مشكلة البطالة) ص ١٠٥.

أ- تقييم هذه النظرية :

والحديث عن ندرة الموارد في الاقتصاد يكشف عن ذهول عن كون الله تعالى الذي توافرت فيه المواد والموارد المسخرة للإنسان، وبين علماء الإسلام أن «نظرة الإسلام إلى الحياة والإنسان نابعة من أن الأصل في الخلق الوفرة لا الندرة، الوفرة المطلقة والنسبية، ذلك أن الله ﷻ قد أودع الإنسان في الأرض وهيأ له سبيل المعاش فيها بما يكفيه، وما الندرة إلا أمر نسبي قد يظهر بسبب سوء تصرف الإنسان وأنانيته وحجوده نعم الله ﷻ»[1]، فالأمر إذن نسبي في نظرية الندرة أو الوفرة؛ فلا أرى تصادم بين رأي الدين وبين أقوال العلماء المتخصصين.

إن الإسلام يقرر أن الأصل في الخلق الوفرة ويعتبرها أساسًا من أسس نظامه الاقتصادي والمالي، وبين العلماء أيضًا أن «المراد بالوفرة: أن ما في الأرض من موارد وطاقة توجد بكثرة تكفي حاجة الناس بل تزيد على حاجتهم، ويؤكد الإسلام هذه الحقيقة على أنها سنة من سنن الله الكونية،التي بها يحكم نظام الكون وتنضبط حركته دون اختلال أو تفاوت»[2]، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت:١٠] . وقال الله ﷻ: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحجر:١٩-٢٠]. وقال ﷻ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت:٥٦]. فهذه الآيات تدل دلالة قطعية على أن الله جعل الأرض مستقرًا للإنسان ليعمل فيها، ولكن لا يظن أن الدنيا دار مقر فإن تهيئة الأرض للإنسان

---

(١) حلمي عبد المنعم صابر، مشكلة الجوع في العالم المشكلة المعاصرة وعلاج الإسلام لها، بحث ماجستير بقسم الدعوة كلية أصول الدين، القاهرة، ص٩٢.

(٢) دكتور جودة أحمد جودة، محاضرات في النظام المالي في الإسلام، ص ١٠٠.

لا ليطغى فيها، بل ليكد ويتعب ويعمرها ويعينه ذلك على عبادة ربه والعمل لما بعد الموت، لذلك قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[هود:١٥،١٦]. يقول الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «والله سبحانه لا ينقص أجر أحد من العاملين بل يوفى لكل أجره فالآية عامة فإن كان العامل مسلمًا وفِّى أجر عمله في الدنيا والآخرة، وإن كان غير مسلم وفى أجره في الدنيا »[1]، وكون الوفرة أو الندرة متصفتين بالنسبية يجعل ضرورة البحث عن الأقوات، كما لا يجعل تصادمًا بين العلماء القائلين بالندرة، والعلماء القائلين بالوفرة وتقدير الأقوات للإنسان قبل أن يخلقه الله ﷻ.

وقد بين علماء الإسلام أنه «من غير المعقول أن يستخلف الله الإنسان في الأرض ويمنع عنه أسباب الحياة فيها! ولم يثبت حتى الآن عدم قدرة الأرض عن استيعاب بنى البشر، وكفاية حاجاتهم لأن الله هو العليم الحكيم لا مكان في كونه أو خلقه للعبث والفوضى»[2]، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

إن تسخير الأرض لكل إنسان، واتساعها لجميع الخلق، وتقدير أقواتهم بها، وجعل المعايش فيها، لشواهد ناطقة على صدق هذا المبدأ الإسلامي، وأن الأرض لن تضيق عن استيعاب البشر جميعًا عيشًا وكسبًا ورزقا وقوتًا وتأمينًا لكل ما يحتاجون إليه من موارد، مهما تقدم بهم الزمن أو كثر عددهم.

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق دكتور محمد إبراهيم الحفناوي، ٥/ ١٧، المجلد الثالث.

(٢) دكتور محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار التراث، الخامسة سنة ١٩٨٥، ص٨٥ وبعدها، الماوردي، الأحكام السلطانية، مرجع سابق، الأستاذ قطب إبراهيم، المال العام في القرآن، الهيئة العامة للكتاب.

ب-المحافظة على الموارد:

إن المشكلة الكبرى في مسألة الموارد تنبع من عدم استغلال الموارد الطبيعية بصورة تفيد العباد والبلاد، مثل سوء استخدامها أو الإهدار والإسراف فيها أو وضعها في غير موضعها الصحيح، والعلاج في المحافظة على الموارد المادية والطبيعية، ولقد حافظ الإسلام على الموارد المالية للدولة فأنشأ بيت المال الذي يعد بمثابة الوعاء المالي العام الذي يدخل فيه كل مال للدولة من زكاة وجزية وخراج وغنائم ومعادن «الركاز» وغير ذلك مما يدخل تحت الموارد المادية والمالية العينية والنقدية للدولة الإسلامية.

ومما ذكره التاريخ في عصر الدولة المملوكية «أن الشيخ العز بن عبد السلام لما تولى القضاء بمصر تصدى لبيع المماليك لصالح بيت مال المسلمين، لأنه لم تثبت لديه الحجة على أنهم أحرار، وأعلن أن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين ولم يصحح لهم بيعًا ولا شراءً ولا نكاحًا فاضطربت أمورهم، وتعطلت مصالحهم وقال لهم: «نعقد لكم مجلسًا وننادى عليكم لبيت مال المسلمين »[1]، ونفَّذ الإمام الشيخ ما قاله لهم، فكان فعل الشيخ بمثابة الحفاظ على موارد بيت المال المسلمين؛ فبذلك تتوفر الموارد وتصير وفرتها لصالح المسلمين، أما لو تركت فستقل ويقال بندرتها وقلتها.

إن الدين لا يلغى جهد أهل الاختصاص – من اقتصاد واجتماع – ولكنه يضبطه ويوجهه التوجيه السليم الذي به تتقدم الأمم وتزدهر، بل ويدعو الدين إلى الاجتهاد في كل مناحي الحياة ليبلغ المسلمون أرقى درجات التحضر والمدنية.

المطلب الثاني: (أقوال علماء الدين في علاج هذه المشكلة):

مما سبق تبين أن موقف الرسول ﷺ من البطالة، من النهى عنها، والإنكار على أهلها، وتشغيل من تعطل منهم، كما أمر أصحابه بالعمل والاكتساب فامتثلوا لأمره، وكما تبين

---

(١) دكتور عمر موسى باشا، ابن نباتة المصري، دار المعارف، الثالثة، سنة ١٩٩٢ ص٤٦ وبعدها، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٢٤٨ ترجمة عز الدين عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠هـ.

موقف الخلفاء الراشدين الأربعة ﷺ، أئمة الهدى بعد رسول الله ﷺ، إلا الاقتداء والامتثال به في ذلك الموقف، فعاونوا أهل التعطل، ونبذوا كل من تعطل بإرادته لخروجه عن الفطرة التي خلق الله الناس عليها، ولقد سار على ذلك سلف الأمة، فقد اتفق العلماء المسلمون منذ باكورة الإسلام على أن الاكتساب هو الأصل في ابتغاء الأقوات والأرزاق قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحجر:١٩،٢٠]. من أجل ذلك لم نجد عالمًا من علماء الإسلام إلا وقد نفر من البطالة وشجع على علاجها ، وكان له موقفًا رادعًا عن البطالة ودافعًا للعمالة والاكتساب.

وكان من علماء الإسلام الأوائل، من نظر للبطالة نظرة معالجة، ودوَّن في ذلك مؤلفًا، الإمام محمد بن الحسن الشيباني[1]، الذي تتلمذ على يد الإمام أبي حنيفة النعمان ﷺ، في كتاب «الكسب» الذي اختصره محمد بن سماعة بعد الشيباني، في كتاب «الاكتساب في الرزق المستطاب» ولكني أود أن أقف على أمرين عند الإمام الشيباني هما:

الأول: باكورة علاج علماء المسلمين لمشكلة البطالة.

الثاني: عبقرية العلاج.

١ – الشيباني أول عالم ناقش البطالة:

أما باكورة علاج علماء المسلمين لمشكلة البطالة، فيتلخص في أن الشيباني من أوائل الفقهاء المتقدمين فقد ولد سنة ١٣٢هـ ، ولم يمر على وفاة آخر الخلفاء الراشدين إلا ما يزيد على مائة عام بسنوات قليلة فقد توفى الإمام علي رضي الله عنه سنة ٤٠ هـ[2]، وذلك أنه قد ظهرت

---

(١) محمد بن الحسن هو أبو عبد الله الشيباني صاحب أبى حنيفة قدم أبوه العراق فولد بواسط سنة ١٣٢ هـ. ونشأ بالكوفة، قال الشافعي (ما رأيت حبراً سمينا مثله ولا رأيت أخف روحاً منه إذا سمعته يقرأ القرآن فكأنما ينزل القرآن عليه) البداية والنهاية لابن كثير، ١٠/ ٢١٠، المجلد الخامس.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، (٧/ ٣٣٤) المجلد الرابع.

دعوات تنادى بالزهد وترك الدنيا، ولقد ادعى الكرامية أن الكسب مباح لا فرضية فيه أصلًا[1]، فأخذ الشيباني يزيل ما أشكل، ويبين ما غمض ويعالج ما أغلق في أذهان هؤلاء، إن دل ذلك فإنما يدل على تنبه الشيباني لهذه المغالطة ولكن كيف عالج هذه المشكلة؟

٢ - عبقرية الشيباني في علاج البطالة:

إن عبقرية علاج الشيباني للبطالة تظهر في الأسس التي أسس عليها هذا العلاج من حيث حكم الكسب، وضرورة الاكتساب لارتباطه بحاجات الإنسان، وكون الكسب قد توقف عليه نظام العالم، ومن حيث بيان بطالة العاجز، وبطالة المكتسب القادر.

أولاً: أما من حيث الحكم الشرعي قال الشيباني: «ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الكسب بقدر ما لابد منه فريضة وذلك لتوقف الكثير من الفرائض على الاكتساب من إشباع حاجة النفس والأهل والولد وسداد الدين وغير ذلك، فمقدار ما لابد لكل أحد منه ، يعنى ما يقيم به صلبه يفترض على كل أحد اكتسابه عينًا، لأنه لا يتوصل إلى إقامة الفرائض إلا به، وما يتوصل به إلى إقامة الفرائض يكون فرضًا؛ فإن لم يكتسب زيادة على ذلك فهو في سعة من ذلك» [2]، فالحكم الشرعي للكسب أكبر الظن أنه حافز قوي لكل متعطل يعقل حقيقة مشكلته، وعلم ضرورة خروجه من البطالة؛ ويطلب الكسب الحلال من وجوهه المختلفة؛ ويروض نفسه على الكسب لأن الله ﷻ أخبرنا بأن الإنسان مخلوق في كبد، قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾[البلد:٤].

ثانيًا: قد أفاض الإمام الشيباني رحمه الله في بيان ضرورة الاكتساب، وذلك من ناحيتين: الأولى لأن على الكسب قيام نظام العالم، فقال: «إن في الكسب نظام العالم، والله ﷻ، حكم ببقاء العالم إلى حين فنائه، وجعل سبب البقاء والنظام كسب العباد، وفى تركه تخريب نظامه وذلك ممنوع منه» [3]، فإن ضرورة الكسب تدل على أن البطالة تضاد تلك الضرورة، التي

---

(٣) الكرامية: هم أتباع محمد بن كرام توفى سنة ٢٥٦ هـ رسالتان في الكسب، تحقيق دكتور سهيل زكار، دار الفكر الأولى سنة ١٩٩٧ ص٥١، نسخة أخرى من الاكتساب هدية مجلة الأزهر الشريف أعداد جمادى الأولى، رجب، شوال لسنة ١٤١٦ هـ ص٤٠.

(١) الشيباني، الكسب، ضمن رسالتان في الكسب، تحقيق دكتور سهيل زكار، ص٦٤.

(٢) محمد بن الحسن، الكسب، تحقيق دكتور سهيل زكار، ص٥٤.

عليها نظام العالم كله ولو لم يكن الاكتساب ضروريًا لاستبدله الناس بالنهب والغلبة، وقد نهى الشرع عن ذلك.

ومن ناحية أخرى فإن الاكتساب ضروري لأن الله تعالى خلق بني آدم خلقًا لا تقوم فيه أبدانهم إلا بأربعة أشياء: «الطعام، والشراب، واللباس، والمسكن» [1]؛ وفي هذه المجالات الأربعة تقوم أهم مجالات الكسب والاكتساب، وعرف الإمام الشيباني رَحِمَهُ اللَّهُ علاقة الكسب بالحاجة الإنسانية؛ فهذا من السبق الذي سبق به الإمام علماء الاقتصاد حديثًا؛ عندما ربطوا بين الصناعة وبين الحاجة الإنسانية وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عبقرية الشيباني رحمه الله تعالى.

إن الإمام الشيباني ذكر ضرورة الاكتساب لتوقف حاجات أبدان بنى آدم عليه، وتلك عبقرية من حيث الاستدلال عليها بالمستوى الفردي فكل متعطل يحتاج إلى هذه الحاجات فلا مناص له دون الكسب الحلال، وهذا ما يطلق عليه علماء التنمية البشرية: «توسيع الخيارات المتاحة أمام الناس» [2]، وأيضا من حيث الاستدلال على ضرورة الكسب بالمستوى الجماعي، فلا مناص من أن يتعاونوا فيما بينهم ففي بقاء جماعتهم؛ فكِلا المستويين هما ما نادى بهما علماء الاقتصاد اليوم من ضرورة التنمية البشرية للمتعطل، وتعاون المجتمع كله لخلق فرص عمل للمتعطلين.

ثالثًا: ولقد ذكر الشيباني رَحِمَهُ اللَّهُ ما يدل على أنه توصل لطبيعة أخطر أنواع البطالة «البطالة الإجبارية» وبين مواطنها وبعض أسبابها فهي إما بسبب مرض أو شيخوخة أو عجز فقال: «يفترض على الناس إطعام المحتاج في الوقت الذي يعجز عن الخروج والطلب» [3] فكان هذا خير شاهد على عبقرية الشيباني إذ جعل علاجها فرضًا على الناس – الذين عرفوا

---

(٣) انظر محمد بن الحسن، الكسب تحقيق دكتور سهيل زكار، ص٨١.

(١) دكتور نجيب عيسى، قضايا التشغيل والتنمية البشرية في البلدان العربية، ص١٢.

(٢) محمد بن الحسن، الكسب، تحقيق دكتور سهيل زكار، ص٩٦.

به – على سبيل الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وهذا المستوى الجمعي أو المجتمعي هو ما أقره الشرع الحنيف في التكافل الاجتماعي، فلقد قال الله في محكم التنزيل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[المائدة:٢]. وسار على ذلك رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده فكان ذلك العلاج الذي ذكره الشيباني هو دليل كمال هذا الشرع الذي عالج المشكلة قبل ظهورها.

رابعًا: ويبين الشيباني أيضا بطالة القادر على الكسب، لكنه لا يجد العمل الذي يزاوله فيقول: «وإن كان المحتاج بحيث يقدر على التكسب فعليه أن يكتسب ولا يحل له أن يسأل ولكنه لو سأل فأعطى حل له أن يتناول لقوله ﷺ في الحديث الشريف: «وإن شئتما أعطيتكما» فلو كان لا يحل التناول لما قال النبي ﷺ لهما ذلك» [1]، هذه هي بطالة المكتسب القادر الذي بين الشيباني أنه لا تحل له المسألة، ولكنه لو سأل فله أن يتناول لأنه فقير داخل ضمن آية مصارف الزكاة وهذا تنويه إلى أهمية إعطاء القادر على الكسب الذي لم يجد العمل من الزكاة، وإشارة إلى دور الزكاة في علاج البطالة.

هذا أول عالم تصدى لمسألة البطالة وقد توالت مؤلفات العلماء تشير إلى هذه المشكلة من قريب أو من بعيد، فكان من علماء الإسلام منهم من أزال شبهة ، ومنهم من أشار إلى طريق علاج، ومنهم من حَثَّ على العمل والاكتساب.

٣–الإمام الغزالي وإزالة الشبهات:

لقد وجد في عصر الإمام الغزالي رحمه الله [2]، من يدعى التوكل على الله ويترك الكسب ويجلس في زاويته فقال: «قد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب، بالبدن وترك التدبير بالقلب

---

(١) محمد بن الحسن، الكسب ص٩٨ وبعدها وأخرجه أبو داود، ٢ / ١٢١، والنسائي ٥/ ٩٩، كتاب الزكاة من حديث عبيد الله بن عدى بن الخيار رضي الله عنه.

(٢) الإمام الغزالي: (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ) هو محمد بن محمد بن محمد، وقد تفقه على يد إمام الحرمين، وبرع في كثير من العلوم، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة فكان من أذكياء العالم في كل ما تكلم فيه أشهرها كتاب الإحياء في علوم الدين، والمستصفى، البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ١٨٥.

وهذا ظن الجهلاء؛ فإن ذلك حرام في الشرع؛ فالشرع الإسلامي أثنى على المتوكلين؛ فكيف يُنَال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين، بل نقول إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه إلى مقاصده وسعى العبد بالإثارة لأجل جلب نافع مفقود عنه كالكسب، أو لحفظ نافع موجود كالادخار، أو لدفع ضار لم ينزل به كدفع السارق، أو لإزالة ضار قد نزل به مثل التداوي »[1]، وما قدمه الغزالي لا تقل أهميته عما اكتشف الشيباني لعلاقة العمل بالحاجة الإنسانية؛ لأن بعض المتعطلين يظنون أن البطالة من البلاء الذي يستسلم له المرء ولا يسعى في دفعه، فشرح وبيان الإمام الغزالي يذهب اللبس من العقل والشبهة من القلب. فإن البطالة نبذها أهل العلم والدين – خاصة الإمام الغزالي – منذ عصور الإسلام الأولى؛ فلما تأثر بعض المسلمين بأخلاق بعض الموالى بحكم اتصال الشعوب بعضها ببعض كأثر من آثار علاقة التأثير بين الحضارات فرصد العلماء تلك الظاهرة وحاربوها وعالجوا المجتمع الإسلامي من هذا الداء الوبيل.

٤-الشيخ العز بن عبد السلام والتوسع في الأعمال:

الإمام الشيخ العز بن عبد السلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [2]، من كبار علماء الإسلام الذين أسهموا في وضع تصور لعلاج حقيقي لمشكلة البطالة، فأفاد المسلمون منه كثيرًا في مجال أعمالهم وحرفهم هو العز بن عبد السلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فبين مدى احتياج الناس بعضهم إلى بعض فلا يمكن للإنسان أن يقوم بحاجاته كلها، وهذه سنة الله في خلقه فيقول: «إن الله ﷻ، خلق الخلق وأحوج بعضهم إلى بعض لتقوم كل طائفة بمصالح غيرها فيقوم بمصالح الأصاغر الأكابر،

---

(١) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، المكتبة التوفيقية ٤/ ٣٦٨ وما بعدها، أبو طالب المكي، قوت القلوب، الأنوار المحمدية سنة ١٩٨٥، فصل التكسب والتصرف في المعايش، ٢/ ١٧، القشيري، الرسالة، مكتبة صبيح، باب التوكل، ص١٢٩.

(٢) الشيخ الإمام العز بن عبد السلام: (٥٧٧ – ٦٦٠ هـ)، هو أبو محمد عز الدين بن عبد العزيز ابن عبد السلام السلمي الشافعي، له مصنفات حسان في التفسير واللغة والفقه والتصوف والأصول وله القواعد الكبرى والصغرى، البداية والنهاية ١٣/ ٢٤٨، المجلد السابع.

والأصاغر بمصالح الأكابر، والأغنياء بمصالح الفقراء، والفقراء بمصالح الأغنياء، والنظراء بمصالح النظراء »[1].

إن حاجة الناس بعضهم إلى بعض قد بينها القرآن الكريم ، في قوله - تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الزخرف:٣٢] فالمتعطل من خلال هذا الواقع يبحث عن دوره في الحياة الذي يخدم به نفسه وأهله ومجتمعه، وهذه النظرة تدل على أن المساواة بين الناس في أصل المعيشة تدفع إلى التفاعل بين الناس جميعا لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح.

ثم إن تنوع الأعمال بين الناس هو السبب الذي يجعل الغنى يحتاج إلى الفقير والعكس، ويجعل الكبير يحتاج إلى الصغير والعكس، والنظير يحتاج إلى النظير، قال العز بن عبد السلام: «فإذا لم يبح ذلك لاحتاج كل واحد أن يكون حراثًا ساقيًا باذرًا حاصدًا طحانًا عجانًا خبازًا طباخًا، وأيضا لاحتاج في آلات ذلك إلى أن يكون حدادًا لآلاته نجارًا لها»[2]، إلى غير ذلك من أنواع ما يحتاج إليه الناس من مصالح وحاجات يجب ممارسة الأفراد لها فتعالج البطالة.

والله ﷻ خلق الناس شعوبًا وقبائل، وجعل لكل أمة ما يناسبها من الحرف والأعمال لا يبرع فيها إلا أمة من الأمم، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٤﴾ ﴾[سورة قريش]. فلقد هيأ الله تعالى لأهل مكة التجارة من خلال رحلتي الشتاء والصيف فيجلبون السلع ويبيعونها فيربحون، ومعظم أهل المدينة زراع، ولو توسعنا في المسألة لوجدنا أن الله ﷻ جعل لكل أمة من الموارد ما إذا استغلتها لبرعت فيها لذلك قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا

---

(١) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ٢/ ٦٨، مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٩٤.

(٢) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ٢ / ٦٩.

يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾[الأنعام:١٠٨]. وممن تنبه إلى هذا التخصص الأمم والشعوب في بعض الأعمال الإمام العز بن عبد السلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «ومن حكمة الله ﷻ أن وفر دواعي كل قوم على القيام بنوع من المصالح فزين لكل أمه عملهم ، وحببه إليهم ليصيروا بذلك إلى ما قضى لهم وعليهم»[1]، ومن ناحية أخرى فقد أخذ العز بن عبد السلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يمهد لنظرية الشيباني من ربط الكسب بالحاجة الإنسانية فقال: «كلبس الناعم أو سكنى القصور الواسعة، وما بين الضروريات والتحسينات فهو من الحاجات قد تقترب إلى الأولى أحيانًا وقد تقترب إلى الثالثة أحيانًا أخرى »[2]، وهذا الارتباط تنبه له علماء الإسلام مما يدل على عبقرية علماؤنا ﷺ حيث تعمق علماء الإسلام فيما ابتدأه الشيباني من بيان ارتباط العمل بالحاجة الإنسانية.

٥- الإمام الشاطبي، ودور التدرج في مصالح العباد في مواجهة البطالة:

ومن أوضح العلماء شهرة بنظرية مقاصد الشريعة الإمام الشاطبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد أئمة وفقهاء المالكية[3]، فقد نظر إلى مقاصد الشريعة ومصالح العباد؛ فوجدها تدور بين الضروريات وهى أعلاها وأولاها بالإشباع من المأكل والمشرب والملبس والمأوى، وما كان في غير حاجة أو زيادة ترف فهو من التحسينات أو التتمات أو التكميلات، التي دعا إليها الإسلام من زراعة وتجارة وصناعة وسوف نعرف ذلك في الفصل القادم في كسب الزراعة من خلال قول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾[الرحمن:١٠-١٣]. فهذا التدرج في مصالح العباد ينطبق على كسب الزراعة،

---

(١) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام، ٢/ ٧٠.

(٢) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام، ٢/ ٧١، محمد فريد وجدي، من معالم الإسلام، الهيئة المصرية للكتاب، ص٢٩٧.

(٣) الشاطبي: هو إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي توفى سنة ٧٩٠ هـ، وقد قدمت الشاطبي في الذكر على التلمساني لشهرته وإن كانا متعاصرين.

وهي أول ما اكتشفه الإنسان من المكاسب كلها، وأصل لكل المكاسب – من وجهة نظري – ومن باب أولى فإنه ينطبق على الصناعة والتجارة أيضا.

ومصالح العباد الضرورية والحاجية والتحسينية في مكاسبهم يفيد في علاج البطالة أيما إفادة، من حيث التوسع في الأعمال وتكثيرها وفى ذلك يقول الإمام الشاطبي: «لو طبق الحرام على الأرض، أو ناحية منها وانسدت طرق المكاسب الطيبة ومست الحاجة إلى الزيادة على سد الرمق فإن ذلك سائغ أن يزيد على قدر الضرورة، ويرتقى إلى قدر الحاجة في القوت والملبس والمسكن، إذ لو اقتصر على سد الرمق لتعطلت المكاسب والأشغال، وفى ذلك خراب الدين لكن لا ينتهي إلى الترفه، كما لا يقتصر على مقدار الضرورة وهذا ملائم لتصرفات الشرع وإن لم ينص على عينه»[1].

والواضح أن هذه المصالح المتدرجة تختلف من شخص لآخر ، قد تكون الضرورة لشخص دون شخص آخر مما يستلزم النظر في هذه المصالح وإعداد قائمة بما هو ضرورة من الزراعات والصناعات والتجارات وتقوم على الحاجات التي تمثل ما هو دون الضرورة وفوق التكميلات، وليكن المتعطل هو الذي يعد هذه القائمة لنفسه على سبيل دراسة الواقع قبل أن يدخل في سوق العمل.

وللدولة دور في إعداد هذه القائمة على سبيل تشجيع زراعة الأقوات على زراعة غيرها والارتقاء تدريجيًّا مع تطلعات سوق العمل، والتوسع المتدرج في إشباع الحاجات ثم التكميلات لتوفير فرص العمل المناسبة لأعداد المتعطلين المتتابعة، وهذا ما يفهم من عبارة الشاطبي رحمه الله السابقة حيث لولا هذا التوسع لتعطلت المكاسب والأشغال وفى ذلك خراب الدين.

---

(١) الإمام الشاطبي، الاعتصام، تحقيق محمد رشيد رضا، المكتبة التجارية، ٢ / ١٢٥.

فإذا كانت تلك من جهود علماء الإسلام عبر العصور، فإنها لم تنته ولا انقضاء لها ما دامت الأمة تعاني، لذلك أقول ما زال عطاء علماء الدين اجتهادًا منهم لعلاج المشكلات التي تواجه الأمة أفرادًا وجماعات مستمرًّا عبر العصور.

٦- ويبقى العطاء مستمرًا:

إن عبقرية علماء الإسلام في علاج مشكلة البطالة بتطبيق ما قالوا، ولم يقف الأمر عند هذا الحد في علاج تلك المشكلة بل توالت مؤلفات علماء الدين لبيان الحرف والأعمال في عهد رسول الله ﷺ مثل مؤلف الشيخ الخزاعي التلمساني [1]، الذي أطلق عليه «تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية».

وفى أوائل القرن العشرين أخرج الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله تعالى – في كتابه الذي أطلق عليه «الإسلام والطاقات المعطلة» ثم توالت مؤلفات العلماء في مختلف تخصصاتهم، والواقع يثبت أن أول من تنبه لهذه المشكلة هم علماء الإسلام وأنهم أول من أسهم في حلها وبوضع الحلول المناسبة لها كما سبق بيانه.

❊❊❊❊

(١) التلمساني: من علماء القرن الثامن الهجري توفى سنة ٧٨٩ هـ ذكر في كتابه ١٥٦ من العمالات، والصناعات على عهد رسول الله ﷺ، تشجيعا على مزاولة أهل زمانه لها.